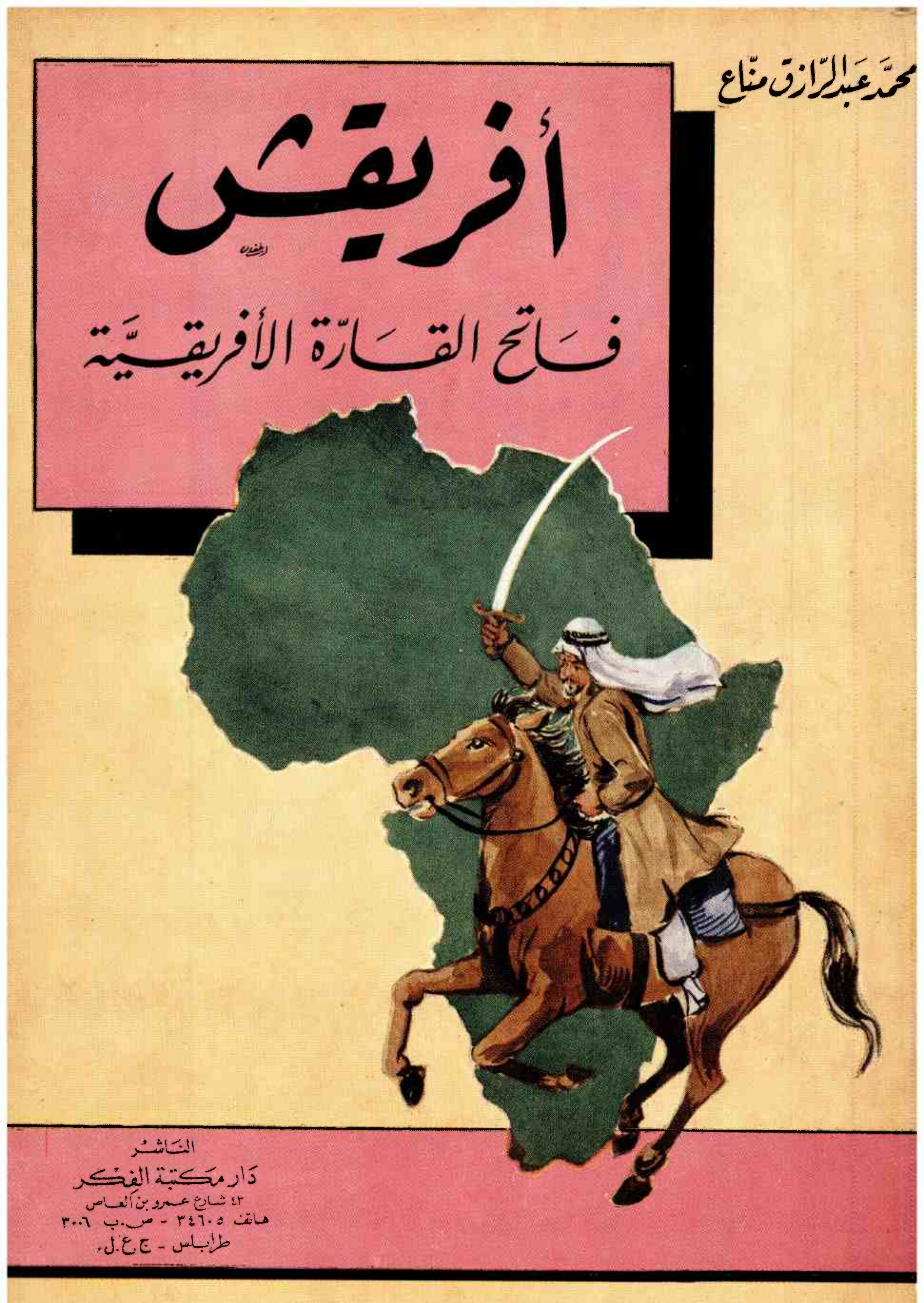

محمد عبد الرّازق منّاع
أفريقش
فاتح القارّة الأفريقيّة
الناشر
دار مكتبة الفكر
٤٣ شارع عمرو بن العاص
هاتف ٣٤٦٠٥ - ص.ب ٣٠٠٦
طرابلس - ج.ع.ل.

خالد علي بورقيبة

افريقش
فاتح القارة الافريقية

خالد علي بورقيبج

محمد عبد الرزاق منّاع

أفريقش

فاتح القارة الأفريقية

الناشر
دار مكتبة الفكر
٤٣ شارع عمرو بن العاص
هاتف ٣٤٦٠٥ - ص.ب ٣٠٦
طرابلس - ج.ع.ل.

الطبعة الاولى
١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣ م

الإهداء

إلى الذين يربطون الحاضر بالماضي لصناعة المستقبل أهدي هذه الدراسة المتواضعة .

المؤلف

مقدّمة

المنطقة الواقعة ما بين تونس ومصر التي كانت مسرحاً لأحداث تاريخية هامة خلال الألف الثاني قبل الميلاد أطلق عليها المؤرخون القدماء اسم ليبيا نسبة لقبائل الليبو (لواته) القديمة .

وسبقهم الفينيقيون فأسموها (افري) نسبة لافريقش بن قيس ابن صيفي وحرّفها الروم إلى (افريكا) AFRICA ثم عممت التسمية على مستعمراتهم في القارة .

وعرّبها المسلمون الفاتحون (افريقيا) ثم أطلق المؤرخون المعاصرون هذا الاسم السلالي على القارة السمراء بأسرها .

وقد ذكر ابن خلدون أن افريقش كان من أعظم ملوك التبابعة الذين كانوا يغزون من قراهم باليمن افريقيا والبربر . وقد غزا افريقش خلال عهد النبي موسى (ص) أو قبله بقليل أفريقيا وأثخن في البربر وأنه هو الذي سماهم بهذا الاسم حين سمع رطانتهم .

ونحن لا نعترض على مسألة مجيء افريقش في عهد موسى وإنما لا نسلم بصحة تسمية « البربر » ذلك لأن الإغريق هم الذين أطلقوا التسمية ، وتعني في لغتهم (الألثغ) الذي لا يحسن التحدث بلسانهم ، على سكان هذه المنطقة ، أحفاد افريقش بعد مضي حوالى ستمائة سنة ، وقلّدهم فيما بعد الروم ثم المسلمون فصارت التسمية اسماً إطلاقياً على سكان ليبيا وشمال افريقيا القدماء عموماً . كما أن لغة الأجداء القدماء لم تكن رطانة أعجمية ولكنها أقرب إلى لغة الضاد خلال الألف الثاني قبل الميلاد .

ومن جهة أخرى زعم الكتّاب الغربيون وتلاهم بعض العرب المعاصرين أن الليبيين القدماء ينحدرون من أصل (بربري) قادم من أوربا على الأرجح...

ولم يثبت هؤلاء وأولئك بالبرهان المادي الملموس المنشأ الأصلي لليبيين القدماء . ومن أين أتوا ؟. وكيف ؟. ومتى كان ذلك ؟.

ونود في هذه الدراسة القصيرة عن افريقش أن نثبت بالدليل القاطع الملموس حقيقة انتماء الليبيين القدماء للجنس العربي لغة وصفات وأصلاً ومعتقدات منذ أزمنة ضاربة في أغوار التاريخ ، وكيف وقفوا مع بني كنعان إبان محنتهم على اثر غزوة يشوع بن نون ، ومدى اشتراكهم مع رمسيس الثاني حتى تغلب على مواطل ملك الهكسوس عند نهر العاصي في بلاد الشام .

والآن لننتقل معاً إلى عهد افريقش في رحلة عـابرة لنربط الماضي بالحاضر لكي نأخذ عبرة وعظة وانطباعات وتجـارب تنير لنا الدروب المستقيمة نحو غد مشرق .

والله المستعان .

محمد عبد الرازق منّاع

القَارّة الافريقيّة مَنسوبَة لأفريقش

لماذا سمّيت القارة السمراء أفريقيا ؟

ومن أطلق هذه التسمية ؟. وعلى من أطلقت؟. وفي أي مكان ؟.

وهل العرب قوم غرباء على هذه القارة ؟.

وهل ينتسبون لها أو تنسب لهم ؟.

أسئله كثيرة تتبادر إلى الذهن تحتاج إلى أجوبة إيجابية مقنعة تضع النقاط على الحروف ...

خلال الألف الثاني قبل الميلاد وصل إلى ما يسمى الآن (ليبيا) افريقش بن قيس ابن صيفي ملك التبابعة من قبائل كهلان وصيفي العربية المستعربة قادمين من جنوب شبه جزيرة العرب ومعهم قبائل بني كنعان من أهل الشام .

وأقام المهاجرون في منطقة الشريط الساحلي والواحات الليبية بعد أن اجتازوا وادي النيل عن طريق واحة سيوة وعكرمة

والواوات واستقروا هنا وهناك وبنوا مجتمعاً احتفظ بأرومته العربية الأصيلة رغم تعرّضه فيما بعد لغزوات الإغريق والفرس والروم .

وقد اختلط المهاجرون من كهلان وحميَر وصيفي وبني كنعان وتصاهروا حتى صارت الجماعتان جماعة واحدة وكوّنت شعباً متجانساً طيب الأعراق كريم الأصل لعب دوراً في الحضارة القديمة .

وقد أطلق الفينيقيون اسم (افري) على (ليبيا) الآن نسبة لافريقش وحوّره الإغريق ـ كما أسلفنا ـ إلى افريكا وقلدهم الرومان فيما بعد ولكن عمرو بن العاص أسماها (افريقيا) وعممت التسمية على القارة بأسرها .

ويبرز سؤال آخر ، من هو افريقش ؟. ولمن ينتسب؟.

يعود أصل المهاجرين من جماعة افريقش إلى قحطان وفالغ ابني عابر ابن شالح ابن ارفخشذ ابن سام ابن نوح (ص) . ومن نسل قحطان ظهرت شعوب كثيرة منها إرم وجرهم الثانية وسبأ وحميَر وكهلان والتبابعة وحضرموت . ومن نسل فالغ انحدر إبراهيم الخليل (ص) وذريته التي منها قريش .

بينما ينتمي النمرود ـ كما يؤكد الثقاة ـ لكوش بن كنعان . وكان بنو كنعان ـ قبل هجرة افريقش ـ قد توزع بعضهم على النحو التالي :

١ ـ جويلة ، واستوطنت ذريته في واحات اوجله وسيوه

وغدامس وزويلة والمنستير وغيرها .

٢ ـ بيوسة ، وأقامت ذريته أولاً بالقدس ثم هاجرت بعدئذ إلى ليبيا أي بعد هزيمة جالوت خلال القرن الحادي عشر قبل الميلاد ، وإليه ينتسب البرانس والمادغيس ابنا مازيغ اللذان استوطنت ذريتهما جبال نفوسة وغريان والجزائر ، ومنها ظهر عوج بن عناق .

٣ ـ صيدون ، واستوطنت ذريته صيدا بلبنان .

٤ ـ ايموري }
٥ ـ كرساش } استوطنت ذريتهما الشام ثم انتقلت إلى شمال افريقيا مع افريقش عندما تغلب عليهم يشوع ابن نون .

٦ ـ عرفان }
٧ ـ اروادي }
٨ ـ خوى } أقامت ذريتهم في حماة وحمص وانطاكية وطرابلس وضماري واليمن وغيرها ومنهم ظهرت بعض شعوب شبه جزيرة العرب بالحجاز ونجد .

وروى الطبري أن بيت ملوك التبابعة كان في سبأ الأصغر . وكان الحرث بن ذي شداد هو الرائش جداً لملوك التبابعة الذي حكم جزيرة العرب قرناً ونيّف وخلفه ابنه ابرهة ذو المنار ثم خلفه ابنه افريقش الذي ساق فلول (البربر) إلى افريقيا من أرض كنعان وكان من أبرز هذه القبائل كتامة وصنهاجة التي استوطنت افريقيا مع

بني حميَر [١] .

ويتفق مع الطبري ابن حزم على أن افريقش بن قيس ابن صيفي هو أخو الحرث الرائش ، وهو الذي ذهب بقبائل العرب إلى افريقيا وبه سمّيت .

وقـد أجمع المسعودي والسهيلي والكلبي والجرجاني ، وكلهم من الثقاة ، على أن اسم افريقش قـد أطلق على هذه المنطقة فصارت تدعى (افريكا) وتطورت فيما بعـــد إلى إفريقيا ثم أصبحت كل القارة تعرف به الآن ...

ومن هنا يتضح جلياً نسب أفريقش إلى أفريقيا فانتسبت له .

---

(١) ابن خلدون .

أفريقش والمجتمع القديم

كان الناس منذ عشرات القرون يحتاجون إلى نعمة الاستقرار سواء في المناطق الكثيفة الأحراش أو الصحارى القاحلة عندما كان الصراع على أشده في بابل رغم تشريعات حمورابي النزيهة الصارمة وملوك الرعاة يتحرشون بوادي النيل بينما الزحف الآري الهمجي يتجه من نهر جيحون عبر بلاد فارس نحو الهند .

انتقل الناس بعد صراع مرير مع الطبيعة وفي حروب طاحنة ضد بعضهم البعض من حياة الصيد إلى حياة المرعى والزراعة تدريجياً ، كما انتقلوا من تعقب قطعان الماشية والخيول البرية[1] إلى تكوين فكرة عن امتلاكها بل وتعلموا أن يحجزوها في الوديان ، وأن يقاتلوا دونها الذئاب والوحوش الكاسرة .

ونستطيع أن نقسّم وسائل الحياة خلال هذه الحقبة الضاربة في أعماق التاريخ إلى قسمين : قسم يتمثل في حياة التجوال والترحال ،

(١) ج. ويلز .

وقسم يعيش في وديان الأنهار على الزراعة[1] .

كانت الشعوب المتجولة أصلب على وجه الاجمال عوداً وأشجع فؤاداً من الزراع وهم أقل إنتاجاً للأولاد وأقل عدداً[2] ، ولم تكن لديهم معابد مستديمة ولا كهانات شديدة التنظيم ، وهم أقل أدوات وأجهزة ولكنهم ليسوا أدنى تطوراً ... إن هذه الحياة كانت من أوجه عديدة أوفى وأكمل من حياة عازقي الأرض .

كان الفرد أكثر اعتماداً على نفسه وأكثر استقلالاً . وكان القائد أكثر أهمية منه في المجتمعات الأخرى والطبيب الساحر أقل أهمية فيما يحتمل . كانت القبائل تنتخب الملوك وتعزلهم من قبل مجلس من كبار السن . وغالباً ما يتم ائتلاف القبائل عند نشوب الحرب . وكانت النساء المتزوجات يحتللن مكانة مرموقة في المجتمع .

وقد نشأ افريقش في ديار سبأ بوديان اليمن يتعقب الخيول البرية ويمتلكها ويروّضها ويمتطيها . وقد ترعرع في مجتمع لا وجود فيه إلا لمن يجيد الطعان والرماية وركوب الخيل والانتصار في ساحات القتال .

وتزعّم الزعيم الحِمَيَري قبائل كهلان وحمَيَر وصيفي ، ونبغ بوصفه قائداً لجماعته في فنون القتال في عالم صناعته الغزو والحرب

---

(١) ثبت وجود أنهار قديمة في ليبيا .

(٢) ج. ويلز .

لا سلام فيه ولا استقرار . وغزا عدداً من المناطق المجاورة .

ومن عادة سبأ أن تولي التبع أمورها وتعلّق عليه أهمية كبرى . وكان افريقش أبرزهم فتبعته أينما اتجه طائعة مختارة . كان القائد في عرف أولئك القوم شخصية مرموقة تستحق الولاء وتبقى لها قيمتها حتى ولو ساقهم إلى الحتف .

وكثيراً ما كان افريقش يغزو نجران ، وتمكن من السيطرة على الكلدانيين واجتاز بلاد ادوم وضغد مروراً بأرض كنعان التي أقام فيها وغادرها وعاد إليها بجملة المركبات لنجدة الكنعانيين من بني إسرائيل والأوربيين الهمجيين الشماليين .

ومن هناك توجه قائد بني حمَيَر إلى شمال افريقيا وقد أحرز افريقش النصر تلو النصر حتى تغلب على جرجيس واستقر في ليبيا وتوزعت جماعته متناثرة في البراري والوديان وعبر الشريط الساحلي والواحات .

وتولى الحكم من بعد افريقش أخوه ياسر ذو الاذعار ، وقد سمي بذلك لكثرة ذعر الناس من جوره[1] وغزا ديار المغرب حتى بلغ وادي الرمل ولم يبلغه أحد ، وعبر بعض أصحابه فلم يرجعوا ، فأمر بصنم من نحاس نصب على شفير الوادي وكتب عليه بالخط

---

(١) المسعودي وابن خلدون .

المسند : هذا الصنم لياسر الحميَري ليس وراءه مذهب ، فلا يتكلف أحد ذلك فيعطب .. وسار إليه كيقاوس ملك الفرس فبـــارزه ذو الاذعار وتغلب عليه وأسره ...

وهكذا استقرت جماعة افريقش ولعبت دوراً إيجابياً في حياة المنطقة .

ليبيا خلال العصر الظراني المتوسّط

كان شكل هذه المنطقة الحيوية خلال الأزمنة السحيقة يختلف عنه الآن.

غير أن المظهر الجغرافي[1] للبلاد لم يتغير تغيراً محسوساً منذ أن دخلت البلاد التاريخ في نهاية الألف سنة الثالثة قبل ميلاد المسيح، كذلك لم يتغير المناخ منذ ذلك العهد تغيراً جوهرياً عما هو عليه اليوم إلا من اختلاف نسبي.

كان مناخ هذه المنطقة قديماً يتميز عن المناخ في الوقت الحاضر بكثرة الرطوبة وكانت الأرض مكسوة بالغابات التي أخذت تزول تدريجياً بعد أن أدخلت الزراعة وكان إنتاج منطقة وادي كعام وفيراً لدرجة فاقت إنتاج منطقة بابل التي كانت مضرباً للأمثال في الإنتاج الزراعي.

---

(١) المغرب الاسلامي.

وقبل وصول جماعة افريقش بن قيس ابن صيفي كانت هذه المنطقة تختلف اختلافاً جوهرياً عنها اليوم ، فلم يكن مظهر التضاريس الساحلية مماثلاً له في الوقت الحاضر إذ كان المحيط يمتد إلى ناحية تازة ومصب نهر ملوية ، وكان المناخ وبالتالي المجاري المائية والحياة النباتية التي يؤثر المناخ على تكييفها مختلفاً كل الاختلاف عن المناخ الحالي .

ونستنتج من ذلك أنه كانت تعيش حيوانات كثيرة لا تعيش إلا في المناطق الحارة الشديدة الرطوبة مثل حيوانات منطقة تشاد وموزمبيق ، كما تدل الحفريات عن وجود حيوانات كالزرافة والفيل والنعامة وفرس البحر والخرتيت[1] .

ومنذ بداية العصر الظراني المتوسط وجدت أنواع من الغزلان البرية وغيرها من الحيوانات التي قدمت من الشمال وامتزجت بالحيوانات السابقة مما أعطى للحياة الحيوانية طابعها الخاص وهو نصف افريقي ونصف آسيوي/أوربي .

إلا أن موجة تسلل هذه الحيوانات الأوربية الآسيوية التي دفعها انحسار الجليد إلى الهجرة جنوباً لم تستمر بسبب انفصال قارة افريقيا عن أوربا[2] وأخذ التبادل الحيواني يتوقف تدريجياً كلما

---

(١) المغرب الإسلامي .

(٢) نفس المرجع .

جفّ المناخ ووضحت الحدود الصحراوية ممـا أعطى الحياة بشمال افريقيا خصائصها كبيئة حيوانية قابلة للتهجين والاستفادة منهـا استفادة تامة .

وما ان استوطنت جماعة افريقش هذه المنطقة حتى تأقلمت في الحال وتهيأت لها سبل الحياة [1] فمنهم من سكن الصحراء حيث توجد نباتات وماء غزير للمـاشية فصار راعياً يتعقب الكلأ الموسمي في البراري ومنهم من أقام في منطقة الشريط الساحلي وشيد فيما بعد المدن والقرى حيث توجد أنهـار أو ينابيع وبنى حضارة يشار إليها بالبنان .

---

(١) لقد استوطنت منطقة ليبيا قبائل العمالقة أبناء لاوذ ابن سام خلال العصر الظراني المتوسط قادمة إليها من شبه جزيرة العرب وبذلك تكون قـد سبقت جماعة افريقش بزمن بعيد .

استنبات النخيل والزيتون والتين

كان العربي – على عكس ما يزعم المؤرخون القدماء والمعاصرون – لا يرفض الزراعة وإنما كان يستاء من بخل الصحراء وسلبيتها ومن ثم لعب دوراً إيجابياً في تنمية الزراعة بمنطقة شمال افريقيا منذ فجر التاريخ وذلك سواء في السهول التي تمر بها الوديان والأنهار وشيَّد القرى والمدن .

ومن الطبيعي أن تمكّن هذه العوامل الاقتصادية المهاجرين الأوائل و (الجدد) من إقامة مجتمع مستقر مترابط مرتبط بالأرض ارتباطاً وثيقاً ويحافظ عليها ويحميها ويزرعها ويداوم على خدمتها . وقد حطم جماعة افريقش النظرية التي تزعم أن شدة الحرارة تكون سبباً في الخمول والعجز عن الابتكار والعزوف عن العمل .

وقد استنبت جماعة افريقش وليس العمالقة أشجار النخيل في

قلب الصحراء مثل زلة وأوجلة والمنستير وفزان ونمت نمواً مطرداً ، وكانت معطياتها وفيرة مثمرة . لقد كان الخليج العربي أول منطقة ظهرت فيها أشجار النخيل في فترة ما قبل التاريخ ثم انتقلت إلى الحجاز ثم نقلها المهاجرون إلى شمال افريقيا وجزر البحر الأبيض المتوسط واسبانيا .

ومن أرض كنعان جلب المهاجرون شجرة الزيتون وزرعوها في شمال افريقيا على اعتبار أنها شجرة مفيدة تخلد زمناً طويلاً وذات فائدة عظيمة في الغذاء الدسم والاضاءة وغير ذلك . كما استنبتوا التين والتين الشوكي والفسائل التي جيء بها من بلاد العرب .

كانت ثمار النخيل والزيتون من المواد الرئيسية التي هيأت للجماعة سبل البقاء جيلاً بعد جيل ويحافظ على التراث الأدبي والاجتماعي .

وظلت (الصحراء الليبية) مزدهرة حيناً من الدهر ، ولم تبلغ في عهد افريقش مبلغ القحولة التي وصلت إليها في (عصر الذرة والفضاء) اليوم .

كانت هذه المنطقة أقل اتساعاً لامتداد سطح البحيرات [١] الكبيرة الموجودة بالسودان الشمالي .

---

(١) مدنية المغرب .

كان السكان يقطعون الصحراء متنقلين مـا بين سيوة وأوجلة وما بين فزان والسودان بدون صعوبـة ، زادهم التمور والحبوب والزيوت ، ووسيلتهم الإبـل الأمر الذى مكّنهم بسهولة من السيطرة على الصحراء .

وفي ظل الاستقرار والإنتاج استطـاع الانسان هنا أن يتفنّن في الزراعة وبعض الصناعات التي ابتدعها ابتداعاً وأخذهـا عنه الشرق والغرب فيما بعد ، وسنذكرها بالتفصيل في فصل آخر .

الليبيّون قبل أفريقش وبعده

كثيراً ما حاول الغربيون المستعمرون إيجاد (قومية بربرية) في شمال افريقيا تناصب أمة الناطقين بالضاد العداء تمشياً مع مخطط (فرق تسد) . وقد وصلت المغالطة ببعضهم أن زعم أن البربر ينتمون لأصل أوربي قادم من الشمال .

وغالباً ما كان أشباه المثقفين العرب ينقلون هذه الآراء بجذافيرها كحقائق مسلّم بها .

من الصعب تحديد المناطق التي استوطنها الليبيون القدماء وتمييز هؤلاء القوم عن غيرهم ذلك لأن التمازج والتزاوج والاختلاط مع الشعوب المجاورة قد لعبت دوراً إيجابياً في مزج اللغات والعادات والملامح مما يدل دلالة واضحة على أنه لم تكن ثمة سلالة نقية أو ثقافة مميزة .

ومع ذلك فإن السكان الليبيين الذين وجدهم افريقش ليسوا

أعاجم بل هم أحفاد قبائل العمالقة الذين يعود نسبهم إلى لاوذ ابن سام الذين استوطنوا المنطقة منذ حوالي العصر الظراني المتوسط .

وقد اتفق المؤرخون على غزو افريقش بين صيفي لافريقيا ويذكر ابن خلدون : (غزا افريقش افريقيا واختط بسيف البحر وما يليه من الأرياف مدناً عظيمة الخطة وثيقة المباني شهيرة الذكر باقية المعالم والآثار لهذا العهد) .

وذكر ابن أبي رقيق :

(هؤلاء البربر جيل ذو شعوب وقبائل أكثر من أن تحصى حسبما هو معروف في تاريخ الفتح بافريقيا) . ويضيف :

(لم تزل بلاد المغرب إلى طرابلس بل إلى الاسكندرية عامرة بهذا الجيل ما بين البحر الرومي وبلاد السودان منذ أزمنة لا يعرف أولها ولا ما قبلها . وكان دينهم دين المجوسية . وقد غزاهم ملوك اليمن من قراهم مراراً) .

ويؤيد ابن الكلبي الآراء المتقدمة :

(ان حمير بالقبائل اليمانية ملك المغرب مائة سنة وانه الذي ابتنى مدائنه مثل افريقيا وصقلية) .

ويضيف ابن الكلبي :

(كان للبربر في الضواحي وراء ملك الأمصار المرهوبة الحامية ما

شاء من قوة وعدة وعدد وملوك ورؤساء وأفيال ، وأمراؤها لا يرامون بذل ، ولا ينالهم الروم والافرنج في ضواحيهم تلك بسخطة الاساءة وقد صبحهم الاسلام فيما بعد وهم في مملكة قد استولوا على روما) .

كان الكنعانيون شديدي الصلة بالأموريين والفنيقيين وبني حمير ويعودون إلى أصل واحد يعكس الروابط القبلية ومختلف الصلات الأسروية .

وقال عمر بن عبد البر :

(ان البربر من ولد النعمان بن حمير بن سبأ) .

وجاء في كتاب الاسفنداد الحكيم قديماً :

(كان النعمان بن حمير بن سبأ ملكاً واستدعى ذات مرة أبناءه وطلب منهم الذهاب إلى افريقيا . وارتحل كل من لمت أبي لمتونة ومسفو أبي مسوفة ومرطا أبي هسكورة واصناك أبي صنهاجة ولمط أبي لمطة وايلان أبي هيلانة واجانا أبي زناتة ومصمود أبي مصمودة) .

ويقول ابن خلدون :

(ان البربر من ولد ابراهيم (ص) من نقشان ابنه) .

ويقول المسعودي :

(ان البربر من غسّان وغيرهم تفرقوا عندما كان من سيل العرم

وقيل من لخم وجذام كانت منازلهم بفلسطين وأخرجوا منها ، فلما وصلوا مصر منعتهم ملوك مصر النزول فعبروا النيل غرباً .) .

ويرى ابن حزم :

(ان البربر من قوم جالوت) .

وأيده النسابة علي عبدالعزيز الجرجاني :

(لا أعلم قولاً يؤدي إلى الصحة إلا قول من قال انهم من ولد جالوت) .

وقال الطبري :

(ان البربر أخلاط من كنعان والعماليق فلما قتل جالوت تفرقوا وتوجهوا إلى افريقيا) .

بينما يؤكد النسابة مالك بن المرحل :

(البربر قبائل شتى من حمير ومضر وكنعان وقريش وتلاقوا بالشام وتوجهوا إلى افريقيا) .

ويضيف :

(ان افريقش استجاشهم لفتح افريقيا وله بيت شعر ينشدونه) :

بربرت كنعان لما سقتها
من أراضي الضنك للعيش الخصيب

على العموم أوردنا للكثير من المؤرخين القدماء آراءهم ويجوز

لنا أن نقبل بعضها ونرفض بعضها . فالرأي الذي يزعم أن البربر قد نزحوا إلى هنا بعد مقتل جالوت يتنافى والحقيقة التاريخية إذ أن افريقش قد انطلق من مدينة ابين بجنوب شبه الجزيرة العربية خلال عهد يشوع بن نون بينما كان جالوت معاصراً لداود (ص) .

ان البربر ينتسبون – كما أسلفنا – إلى رجلين هما البرنس ومادغيس (الأبتر) ابنا مازيغ بن بيوسة بن كنعان اللذان انحدرت منهما جل القبائل البربرية في ليبيا وشمال افريقيا على العموم .

لقد خلّف البرنس اوريغ الذي انحدرت منه سبعة أجذام وهي ازداجة ومصمودة وعجيسة وكتامة وصنهاجة واوريغة واوربة وربما هكسورة ولمطة وكزولة أيضاً كما يذكر ابن خلدون .

وامعاناً في تفاصيل نسب أجدادهم فقد خلّف اوريغ كلاً من هوار وهذال وقلدون ومغر وملس ولمط وصنهاج ولئن ادعى ابن الكلبي أن صنهاجة وكتامة قد قدمتا من اليمانية .

ومع مرور الزمن أصبح كل فرد من أبناء اوريغ يؤلف سبطاً كثير العدد مستقلاً بذاته يتناثرون هنا وهناك .

وقد خلّف ملس كلاً من ورفل واسيل واسطط ومليلة الذين أطلق عليهم قديماً اسم لهانة وتفرعت عنهم بنو مصراتة وبنو ورفلة وبنو اللهان ووسطفة واستوطنوا المنطقة الممتدة من غربي سرت إلى وادي كعام و(بني وليد حالياً) جنوباً .

وخلف مغر كلاً من زمور وكبـــا ومصراي ومـاواش الذين استوطنوا في المنطقة الممتدة من شمال تاورغا إلى كاباو .

بينما خلف هوار كلاً من بني كهلان وبني مليـــلة الذين استوطنوا هوارة وخلّف هذال وقلدون كلاً من قمصاته وبيانه .

وتنتسب الطائفة الثانيـة من البربر إلى مادغيس ابن مازيغ بن بيوسة بن كنعان الذي تزوج باملل ابنـة وطاس بن عمـار وخلّف منها زحيك .

وقد أنجب زحيـك كلاً من أداس ونفوس وضرى ولوا ومنهم انحدرت قبائل أداسة وضرية ولواتة ونفزاوة وزناتة ونفوسة. فقـد نزل أداس في هوارة بينما حلّ نفوس في جبال نفوسة بجنوب طرابلس وخلّف زمور وبني مكسورة وماطوسة .

وذكر ابن خلدون ان لواتة تنقسم إلى عدة بطون وهي :

سدراته بن نيطط بن لوا الأصغر بن لوا الأكبر بن زحيك بن مادغيس .

عزوزة بن ماصلت بن لوا الأصغر الخ .

مزاتة واكورة وجرمانة ومغانة بني زايد بن لوا الأصغر الخ .

ويعزز المسعودي تاكيد ابن خلدون أن لواتة كانوا ظواعن في مواطنهم بنواحي برقـــة . وكانت مساكنهم بيوتاً وقصوراً مبنية

بالحجر المنحوت ، كما بنى البعض الآخر بيوتاً من الطين والتبن والحجارة ومن الشعر والوبر في البراري ومن الخوص وسعف النخيل في الواحات .

وغني عن البيان انه قد تفرعت عن كنعان خلال الفترة التي سبقت مجيء افريقش كل من جويليه وايوري وكرساش سكان أوجله وغدامس وسيوه وغيرها .

واتخذ نسل هؤلاء بعد سنين طويلة من الحل والترحال المناطق التالية سكنى لهم :

١ ـ بركاي (برقة) سكنت نطع المرج .
٢ ـ التحنو قطنت المنطقة الواقعة جنوب البطنان لغاية السرير.
٣ ـ المشواش استوطنت المنطقة الممتدة من المرج شرقاً إلى اجدابيا غرباً .
٤ ـ النسامينوس استوطنت المنطقة الممتدة من جنوب (بنغازي حالياً) إلى خليج سرت غرباً وأوجلة جنوباً .
٥ ـ الجدالة سكنت منطقة خليج سرت ثم انسحبت جنوباً على أثر نزاع قبلي مع النسامينوس .
٦ ـ الماساي سكنت المنطقة المحيطة بـ (وادي كعام) .
٧ ـ معدان من بطون حمير وبني عم افريقش سكنت جنوب مصراتة .

٨ ــ الطوارق وكذلك القرامنت استوطنت الجنوب الليبي .

٩ ــ التبو كانت مقيمة في الواو الكبير وجبال تيبستة .

١٠ ــ المخرواي سكنت المنطقة الممتدة من وادي كعام إلى قصر خيار حالياً .

ويتفق المؤرخون القدماء والمعاصرون على أن بعضاً من سكان ليبيا هم مزيج من قبائل العمالقة القديمة وجماعة افريقش والعرب الذين جاءوا بعد الفتح الاسلامي ويسمون مرابطين[1] والهجرات العربية التي تلت الفتح الإسلامي .

وينتمي سكان جنوب مدينة بنغازي من قبيلة الفواخر وكذلك قبيلة زويّه للمرابطين وهم يشكلون همزة وصل بين الشريط الساحلي الليبي وواحة أوجلة والسودان .

وكان نسل العرب القدامي وعلى الأرجح جماعة افريقش قد امتزج بنسل الفاتحين المسلمين بالمزاوجة والجوار وصاروا فيما بعد شعباً واحداً ولكن من الصعب أن نحدد عما إذا كانوا أخوالاً أو أعماماً للقدامى أو العكس بالعكس .

وقد فضل الفواخر وزويّه السكنى جنوباً بعيداً عن الشواطىء أو ربما أرغموا على ذلك بسبب مناوأتهم وحروبهم المستمرة ضد الغزاة

---

١ ــ تطلق لفظة مرابط على من اشتهر بالتقوى والورع والصلاح . ومن جهة أخرى تطلق على الجنود المسلمين المرابطين على حدود الدولة الإسلامية للذود عنها ، وقد أصبح أحفادهم يطلق عليهم لفظ مرابطين .

الاغريق والروم والفرس فيما بعد. وهـذا يدل دلالة واضحة على أن هذه القبائل قد سبقت الفتح الإسلامي في النزوح بزمن بعيد.

ولم يوجد على الشريط الساحلي الليبي من السكان القدامى إلا في زوارة وهم الذين احتفظوا بلغتهم القديمة وخصائصهم حتى اليوم.



نفق أفقي يمتد عشرات الأميال تحت الأرض ويعود تاريخه إلى حوالي ٤٠٠٠ سنة . وكان عبر مثل هذه الأنفاق يصب زيت الزيتون من معاصره في الجبـل ليصل مصبه في أحد موانىء البحر الأبيض المتوسط .

ومن الملاحظ أن القبائل العربية التي جاءت بعد الفتح الإسلامي لا تحمل أسماء مناطق سكناها بينما يحمل السكان القدامى أسماء المناطق التي يسكنونها نسبة لهم .

وعلى سبيل المثال يدعى ساكن زوارة (زواري) وساكن ورفلة (ورفلي) وساكن مصراتـــة (مصراتي) وساكن أوجلة (اوجلي) وساكن سيوة (سيوي) وساكن غدامس (غدامسي) وهـــلم جرا . ولعل ذلك يرجع إلى أنهم كانوا أكثر استقراراً ويقيمون إقامة دائمة منذ آلاف السنين حتى أصبحوا منسوبين لهذه المناطق الحيوية .

ومما تقدم ندرك بما لا يدع مجالاً للشك أن عروبة ليبيا أصيلة لا غبار عليهـا منذ عهد افريقش بـــل وقبله بزمن يعود إلى عهد العمالقة .

أول حَضَارة في الصَّحرَاء

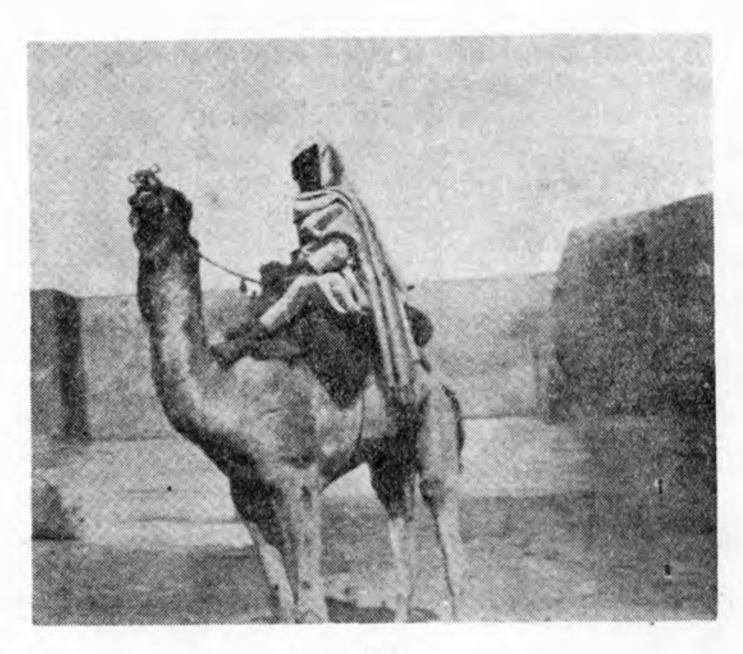
حطت جماعة افريقش الرحال خالية الوفاض في منطقة خالية من مستلزمات المعيشة فلا ملبس ولا ماكل ولا ماوى، ولكنها أرض بكر قابلة للحياة لمن يريد صناعة الحياة ..

كان التغريث الذي قد يؤدي إلى الهلاك ينتظر هذه الجماعـة من البشر التي تتشبع بروح المغامرة ، مع العلم انـــه كان يوجد سكان ينحدرون من أصل العمالقة .

وكان على الإنسان أن يواجه المتاعب وأن يعلن حرباً وقائيـــة لا هوادة فيها ضد الطبيعة الصارمة والحاجة الملحّة من أجل البقاء .

وسرعان ما برزت الحاجة إلى كل شيء . ومن الطبيعي أن تكون الحاجة هي أم الاختراع .

ولم تلبث أن ظهرت الحياة في هذه الربوع كأروع مـــا تكون

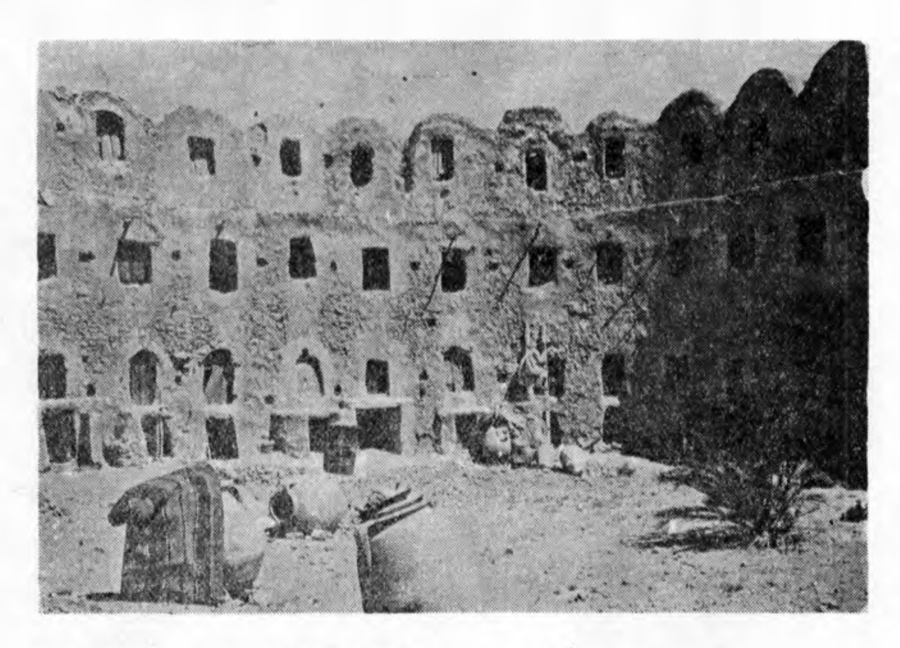


سفينة الصحراء

مظاهرها ...

ان القدرة الإلهية التي أبدعت كل شيء وهبت الإنسان العقل المدبر والإرادة الخلاقة ليكون خليفة الله في الأرض .

وهكذا هرع الصيادون إلى صنع الشباك ، والحائكون إلى الامساد لصنع النسيج والكساء والغطاء والطنفسة ، والدباغون لصنع القرب والأحذية ، والحدادون لصنع الأواني والحراب والسيوف والسهام والمزاريق من الحديد والبرونز والنحاس للحماية من الحيوانات المفترسة وأعداء الحياة ، وقام القادم الجديد بصناعة الخزف والفخار من صلصال الأرض وصنع المنافش من أسنان الفيلة ، وصنع النجاد الأثاث ،



قصر أثري قديم في قلب الصحراء

والسروجي السروج ولوازم الخيل .

وأخذ المزارع يشق الأرض بمحراثه الذي تجره دابة .

وسرعان ما زرعت الأرض حبوباً وبقولاً وأقيمت الدريئات الترابيـــة لحمايتها من عبث الطبيعة والإنسان والحيوان، وتم غرس الفسائل وتعشير النخيل .

وتسامقت الأشجار المثمرة وتدلت أعذاقها المفعمـــة بالطيبات، وتفتّقت براعم الأزهـــار من أكمامها وغطت حقول القمح والشعير

وصارت تتمايل مع نسمات الريح عند الغسق وترسل عبقاً طيب الرائحة .

وعاد الراعي بقطيعه بينما تقوم الزوجة بصنع الدسم وإعداد الطعام ورتق الملابس أو الخيام من جلود الحيوانات أو الاهتمام بكوخها المصنوع من نبات البرواق والأمالد المضفورة على العصي والذي يشبه القارب المقلوب ، أو غيره المصنوع من القش واللبن أو الوبر .

لقد أبدعت جماعة افريقش في صنع مستلزمات الحياة من ضرورات وحتى (الكماليات) ... كان ثمة اكتفاء ذاتي ؟.

وابتدع الليبي القديم صناعة أول عربة تجرها أربعة جياد وصدّرها إلى مصر وبابل وآشور وغيرها .

وكثيراً ما دافعت هذه الجماعة عن مكاسبها ضد الطامعين . وقد تمرست على فنون القتال واشتركت في حملات كثيرة ، سيرد ذكرها في موضعها في فصل آخر . وكان لها جيش منظم مكون من المشاة والفرسان وراكبي العربات المدججين بالسيوف والدروع والرماح. وقد حافظ على عروبة المنطقة ضد الاغريق والفرس والروم في وقت متأخر .

تشابه الليبي القديم والمعاصر

لا تختلف صفات جماعة افريقش عن صفات أكثر السكان الحاليين، فالكل ينتمي إلى الأصل السامي ويجري في عروقه الدم العربي..

لا تختلف ملامح «البربري»[1] عن ملامح «البدوي»[2] في الشريط الساحلي الليبي إذ يكوّن الاثنان صورتين لمظهر واحد وعنصر واحد ويتشابهان في الهيئة، فنرى الفرد منهما طويل القامة أو متوسطاً، رشيقاً، غير مكرّش في الغالب، وذا بشرة بيضاء أو سمراء فاتحة، مستطيل الوجه أو مستديره، وذا شعر أسود أو أصهب.

وينقسم البربر[3] من حيث الصفات الجسمانية أيضاً إلى نوعين مختلفين: الأول وهو الأغلبية يتميز بلون أسمر وشعر أسود ورأس

---

١ — الليبي ما قبل الفتح الإسلامي.
٢ — الليبي أثناء وبعد الفتح الإسلامي.
٣ — المغرب الإسلامي.

مستدير وبروز خديه وقصر أنفه وتقوّس جبهته ، ويتميّز الثـــاني بشقرة لون الشعر وزرقة العينين واستطالة الرأس ودقّة الأنف ورقّـة الشفتين وتسطّح الجبهة .

ويلاحظ التشابه بين (بربر) افريقيا وبين الساميين في الصفـات والجنس واللغة أيضاً [1] فقد وفدوا من آسيا (شبه الجزيرة العربية) واستوطنوا هذه البلاد منذ أقدم العصور .

يتّسم (البربري) كالعربي بالشجاعة والكرم والخشونة والجـــلد وحب القتـال وحدة الخلق والتعصب للقبيلة والمحافظة في شطط على العادات والتقاليد المتوارثـــة وكذلك البساطة لحد السذاجة وسهولة الاقناع وقوة الإيمان ، كما يتخلّق (البربري) بالفضائل والخلال الحميدة مثل إغاثة المكروب وحماية النزيل والدفاع عن الحق وأداء الواجب .

ومما لا ريب فيه أن طبيعة الصحراء والجبال قـد أكسبت هؤلاء القوم الصفات الحميدة وأثّرت وعورة المنطقة في أبدانهم فأكسبتهـــا النحولة والضمور مع القدرة على الاحتمال والسير مسافات طويلة على الأقدام أو على ظهور الدواب دون كلل أو ملل أو تعب .

كانت قبائل المشواش ولواته والتحنو تتاخم وادي النيل من جهة الغرب . وقد تبين في رسومات الأسرات الفرعونية أن لواتـه كانت

---

١ — المغرب الإسلامي .



الليبيون القدامى خلال عصر افريقش بن قيس ابن صيفي

ذات بشرة بيضاء وعيون زرقاء وشعر أشقر أو عسلي .

ومن جهة أخرى ذكر لاور يجيه وصفاً دقيقاً عن التحنو :

كان شعر رجل التحنو مجعداً ، وعلى رأسه غطـاء يشبه إلى حد كبير عمامة سكان الريف المغربي الآن ومزين بريشتي نعام ، ويشتمل برداء مستطيل يلفه حول جسمه لفتين ويضع طرفه على جنبه الأيسر ويعقده بعقدة فوق كتفه .

وغني عن البيان أن هذا الرداء يشبه (الجرد الليبي) الحالي ، وقد

أخذه عنهم الاغريق أثناء فترة استيطانهم في منطقة برقة خلال القرن السابع قبل الميلاد ، ثم أخذه الرومان عنهم فيما بعد وسمّوه الطوقة التي كثيراً ما كانوا يتطوّقون بها .

أما من وجهة اجتماعيـة فينقسم البربر إلى طائفتين [1] متباينتين : طائفة الحضر وهم البرانس وطائفة الرحل وهم المادغيس .

لقد سكنت الطائفة الأولى (البرانس) السهول الخصيبة والهضاب المزروعة بينما تعيش الطائفة الثانية عيشة البدو الرحل .

وليس ثمة خلاف بين صفات هؤلاء وأولئك لأن الطائفتين تعودان إلى أصل واحد بدليل تشابه الملامح .

---

١ – مدينة المغرب .

الرّياضَة
خِلال عهد أفريقش

لعبت الرياضة دوراً هاماً في إعداد الأجيال السليمة البنية والعقول المهذبة والأخلاق القوية الشكيمة وجمع الروابط ووفرت القوة والمنعة .

كانت الرياضة خلال عهد افريقش هواية يمارسها الشباب وأبرزها اللبط والمثاقفة والمواغدة والمناقفة والانبوثة وغيرها .

ومن الملاحظ أن مباريات الفروسية (الميز) كانت تقليداً وطنياً يربط الحاضر بالماضي السحيق حيث كانت تقام في جل المناسبات والأعياد فيتبارى الفرسان بخيولهم الأصيلة .

وما عادة السباق التي تنطوي على تساوي الحوافز أساساً للتباري في المهرجانات إلا تقليد قديم ورثه المواطن أباً عن جد .

وما زالت عبارة « فلان أحرز قصب السبق » تتردد حتى اليوم

ويعود تاريخها إلى آلاف السنين عندما كان الأجداد يضعون عصا قصبة ينتهي عندها السباق .. ومَن وصلها من الفرسان المتبارين أولاً وانتزعها فقد فاز على أقرانه وأحرز قصب السبق .

كان افريقش يمارس لعبة تجاحف الفرسان بالكرة وهم على صهوات الجياد وكذلك النقاف والثقاف منذ أن كان يافعاً حيث استمد ذلك من ألعاب الجعري والقفيزي . كما نمّت فيه ألعاب الدعجلة والخراق والغميضة الجرأة والفراسة والفروسية .

ومن هــذه الألعاب القديمة اقتبست الشعوب الأخرى وخاصة الإغريق والروم « لعبة البولو » أي تقــاذف الكرة وهم ركوب على الخيول وكذلك الهوكي والمصارعة والجمباز .

الفروسية

كثيراً ما يعنى المواطن الليبي وخاصة في القرى بتربيـة الخيول وتمرينها على بذل المجهودات الشاقة مما يدل دلالة واضحة على أن هـذا المجتمع كان مولعـاً بالفروسية التي أخذها الخلف عادة مكتسبة من السلف .

وتنتمي أشهر فصائل الخيول في ليبيا إلى سلالة (الدوقولاوي) الحبشية الأصل التي أدخلت إلى شمال افريقيا خلال عهد افريقش .

وغني عن القول أن بني كهلان كانوا أول من روّضوا الخيول



فارس ليبي معاصر

وركبوها خلال الألف الثاني قبل الميلاد وبذلك تكون هـذه القبيلة العربية قد سبقت قوم سليمان الحكيم (ص) في هذا المضمار وهم الذين زعم أنهم أول من روّضوا (زاد الركب) وهي الفصيلة التي تنتمي إليها ـ كما يدّعي العبرانيون ـ جميع سلالات الخيول العربية الأصيلة في العالم ... في حين أن هؤلاء يناقضون أنفسهم بقولهم أن خيول

سليمان كانت تنتسب إلى أصل لوبي (ليبي) .

ومن المثبوت علمياً أن جـل الخيول المعاصرة في شمال افريقيا تنتمي إلى فصيلة الدوقولاوي ـ كما أسلفنا ـ وهي التي تتّسم بالجودة والنبل والرشاقة .

ومن الملاحظ أن هذه الفصيلة الأصيلة تتميّز بنعومة الوبر وخفة الشعر والكفل الأملس والذنب الطويـل والخد الأسيل والناصية المعتدلة ، وهي التي تشتهر عند الركوب بالخفة والنشاط وشدة الحساسية وتمتاز عنـد الجري بارتفاع القامة وثبات الرأس وملامسة الأرض بأطراف الحوافر .

ولا يزال الآباء (الشيوخ) يعتزون بالجياد ويعتبرونهـا فالاً حسناً وأن الخير مقرون بنواصيها الأمر الذي يؤكد أن هذا التقليد الحميـد يرسخ قدم هذا الشعب الأصيل في تربة العروبة الأصيلة منـذ أقدم العصور التي تشتهر بالشجاعة والكرم .. المتمثلة في الفروسية وكذلك الرماية .

الرماية

كثيراً ما استخدم الأوائـل الرماية لحماية الحصون والقلاع ضد الهجمات العدوانية .

استخدم جماعـة افريقش الرمايـة بأدوات كثيرة أبرزها القوس

والسهم والوتر على أوسع نطاق وذلك لما كان لها من فوائد جمة في الصيد ونكاية فتاكة في الحرب والنزال .

وكان الرامي الماهر في ليبيا القديمة أعظم شأناً من الفارس ولو أن الأول يكون تابعاً للثاني مرؤوساً له في جميع الأحوال والظروف الحربية .

ظل بنو حمَيَر وكهلان على مر العصور من أمهر الرماة إذ كان الفارس منهم أو الراجل يستخدم على ما يبدو أسلوب التحريف الذي كان شائعاً بين الفرس ولئن كان ذلك مخالفاً لطريقة العرب الذين استخدموا أسلوب الاستواء حينذاك .

ويتضح من الصور أن الرامي كان يمد سبابته إلى نهده الأيمن وهو ممسك على مقبض القوس ويدفع بزنده مع شدة التركيز على الهدف وهو راكب عربته التي تجرها الجياد .

ويبدو أنهم أتقنوا إصابة الهدف لأنهم منذئذ أبدعوا أسلوب التصويب والعقد والمد والاطلاق في فن الرماية . فإذا اتفقت النظرة المصوبة مع الحركة السريعة المتجانسة مع مراعاة وجوب السكون لفترة ثوان أصيب الهدف لا محالة .

إن الحضارة ليست وقفاً على شعب من شعوب العالم بل هي نتاج جماعي ساهم فيه إنسان هنا وطوّره آخر هناك خلال العصور التاريخية المختلفة .

اهتم الأجداد على ما يبدو بتربية النشء وأعدوا لهم ما يناسبهم من ألعاب تناسب كل سن من جلد وطين وعاج وحجر وغير ذلك مثل ألعاب الزحلوفة والكلطة واللبخة والدوامة والدحنح والعرد والنفاز والتضرفط والطرة ومـــا شابه ذلك وهي التي تطورت فيما بعد إلى المصارعة وحمل الأثقال والقفز والسباحة والملاكمة والتجديف والسباحة التي يمارسها الشاب عندما يشب عن الطوق .

لقد نمّت الرياضة على علاتها وبأسلوب قديم الثقة بالنفس في الأوائل وربما مكّنتهم من المحافظة على كيانهم والدفاع عنه ضد أطماع الفراعنة والاغريق والفرس والروم الذين خاضوا معهم صراعات عنيفة على مر العصور منذ عهد افريقش .

العادات والتقاليد الليبيّة القديمة

لم يكن في عهد افريقش قوانين مشرّعة .

وحري بالمرء أن يتساءل :

كيف استطاع الناس أن يتجانسوا في مجتمع بلا تشريعات مكتوبة ؟.

هل كان الفرد العادي آمناً لا يخشى الاعتداء عليه ممن هو أقوى منه ؟ .

وماذا يمنع الحاكم من ممارسة الأهواء والنزوات وظلم الناس ؟.

من الطبيعي أنه لم يكن غنى لمجتمع عن الأمن والنظام اللذين لا يتأتيان إلا في جو تسوده قوانين عادلة مشرّعة تضمن للفرد حقوقه وحصوله على وسائل العيش من طعام ووقاء وكساء .

ولكن يبدو أنه في غياب مثل هذه القوانين كانت العادات والتقاليد والأعراف هي التي تنظم علاقات الناس بعضهم ببعض وهي

التي يقلّد فيها الخلف الأسلاف ...

ومن الملاحظ أن الحاكم في ذلك الزمن السحيق كان مقيداً بالأعراف ويحكم بما اعتاد عليه الناس وتعارفوا عليه في المعاملات .

ورغم مضي آلاف السنين على عهد افريقش ما زال الشعب الليبي يتشبّث بالتقاليد القديمة التي ورثها جيلاً بعد جيل ، وأكثر هذه العادات ملفتة للنظر تتجلى فيما يلي :

أ ـ الترابط الأسروي المتين لدرجة أن يوجد حتى الآن أحفاد يلتفون حول آبائهم ويلتف الجميع حول الجد ويسكنون في بيت فسيح واحد .

ب ـ سيطرة الأب على الأسرة وطاعة الزوجة وشدة احتمال الأم لشظف العيش وتوقير الأبناء لمن هو أكبر سناً ، وحياء المرأة ، واحترامها .

ج ـ الزواج المبكر .

د ـ الولع بكثرة الأطفال والاختتان.

هـ ـ الغيرة على الأهل .

و ـ القدرية والتماس كرامات الأولياء الصالحين .

ز ـ زغاريد النساء في الأفراح والولولة في الأتراح .

ح ـ التحلي بمميزات الشجاعة والكرم والإيثار .

ط ـ النساء كن يوشمن ويتخضبن بالحناء ويتضمخن بالطيب .

عادات متوارثة يقلد فيهـــا الخلف الأسلاف جيلاً بعد جيل ، وأعراف تعارف عليها الناس في المعاملات اليومية فأصبحت بديهيات تقريباً .

لا تزال المرأة الليبية سواء في الحضر أو البـادية تتحنى بالحناء لخضاب اليدين والقدمين امتداداً لعادة جدتها التي كانت تستعمل الحناء لتقوية جلد يديها وقدميها ضد التشقق والخدوش والجروح .

الوشم والوصم

لا يزال الوشم عادة مألوفة بين بعض السكان الليبيين كما هي الحال في شبه جزيرة العرب .

ويقال إن الأوائل ابتكروا الوشم بديلاً للأصباغ السريعة الزوال باعتباره ضرباً من الزينة رغم ما فيه من تشويه للبشرة .

وكثيراً ما نرى العروس أو الفتاة أو العانس أحياناً تستسلم لغرز الإبرة في البدن وتتحمل الوخز حتى يدمى ثم يذر عليه مسحوق الفحم أو النيلج حتى يزرق أو يخضر لون الجلد .

بينما كانت جدتها تشِم الفتاة بحجر صوان أو قوقع المحـار في سن مبكرة تمهيداً للزواج المبكر .

وبمقارنة الوشم نجد ثمة تشابهاً بين نساء معدان اللواتي يقمن قرب

مدينـة مصراتة بليبيا وبين نساء معدان اللواتي يقمن على ضفاف نهر الفرات أو في مدينة البصرة العراقية .

وفي حين كان النساء يستعملن الوشم في بعض المنـاطق العربية فإن عدة قبـــائل عربية في عجمان والحجاز يعتبرونه عمـلاً مبتذلاً ومجلباً للعار .

وفي بعض المناطق العربية الأخرى يستهجنه الرجال ويعدونه عملاً مشيناً مهيناً للرجولة بينما يستعمله البعض الآخر نقاطاً ثلاثاً عنـــد الصدغ أو في أسفل الحنك .

ولعل عادة الوشم قـــد أخذها الليبيون القدامى قبل عهـــد افريقش عن السومريين من بابـل وأشور وهم أول الأقوام التي كانت تمارس الزينة بالوشم .

عادات أخرى

من الملاحظ أن الليبي القـديم كان يتزين بقرط في شحمـة الأذن اليمنى وقد ورث الخلف هذه العادة عن الأسلاف . وما زالت العائلات الليبية في الغالب لغاية اليوم تثقب أذن الطفل الرضيع بعد أسبوع من ولادته لكي تزينه بـ (علاقة) قرط ذهبي أو فضي يعلق في أذنـه ويظل عالقاً بها حتى السنة السابعة أو بعد اختتانه .

وقد عثر في الآثار القديمة على المرود والمكحلة وهي الوعـــاء

الذي يوضع فيه الكحل مما يدل دلالة واضحة على أن النساء الليبيات كن منذ العهد القديم يكتحلن بالأثمد (الكحل) وغالباً ما كان الشاعر القديم يتغزّل بالمرأة الكحلاء الشديدة سواد العين .

اقتفاء الأثر

لا تزال عادة اقتفاء الأثر مالوفة في الصحراء والواحات وذلك امتداداً لسلوك بني حمَير وكهلان منذ آلاف السنين .

وينقسم اقتفاء الأثر إلى قسمين وهما : معرفة الأثر ومعرفة الضالة .

ويستطيع مقتفو الأثر معرفة أية بقعة في الصحراء إذا رأوها مرة واحدة لا ينسونها وهم زيادة على ذلك يمكنهم معرفة المكان المقصود سواء إن كانت السماء غائمة ليلاً أو ضعفت الرؤية نهاراً .

ويعتمد مقتفو الأثر بالنسبة للضالة على معرفة الأرض والنجوم بينما يعتمد مقتفو الأثر العاديون على معرفة أثر انسان أو جمل أو حصان أو شاة من خلال ذلك بدقة متناهية .

والمقتفي الماهر يستطيع معرفة أثر الراحلة سواء أكانت



قافلة في الصحراء

جملًا أو ناقــة وإذا كان الأثر لرجل أو امرأة ، وإذا كان لامرأة يستطيع تمييزها إن كانت متزوجــــة أو عذراء أو حبلى أو غير ذلك .

إن العادات والتقاليد الليبية السائدة هنا اليوم مستمد معظمهـا من بيئة المجتمع القديم من قبل وما بعد افريقش .

الزّيّ القَومي[1]

ربطاً للحاضر بعهد افريقش وصلتنا الوثقى بأمة الناطقين بالضاد نستطيع أن نستخلص من العادات التي أبدعها السلف لنفسه وتأثر بها واعتاد عليها ما يؤكد استمرارها مع مراعاة التطوير والتجديد في العصر الحديث .

ولا شك أن العادة هي التي تمكن البدوي من أن يعيش في خيمة في الصحراء دون أن يكترث بأنواء الطبيعة وأعاصيرها بل تكسبه مزايا خاصة يعتز بها ولا يحيد عنها بسهولة .

ولا يزال الكثير من العادات القديمة سائداً حتى اليوم وهي مستمدة من بيئة المجتمع القديم توارثها الخلف عن السلف وأبرزها الزي القومي الذي يكاد يكون موحداً في معظم مناطق ليبيا ومشابهاً للقديم ولئن ارتدى الليبي القديم الملابس المصنوعة من الجلد والصوف وتزين بريشتي نعام فوق رأسه واستهجن ذلك الليبي المعاصر .

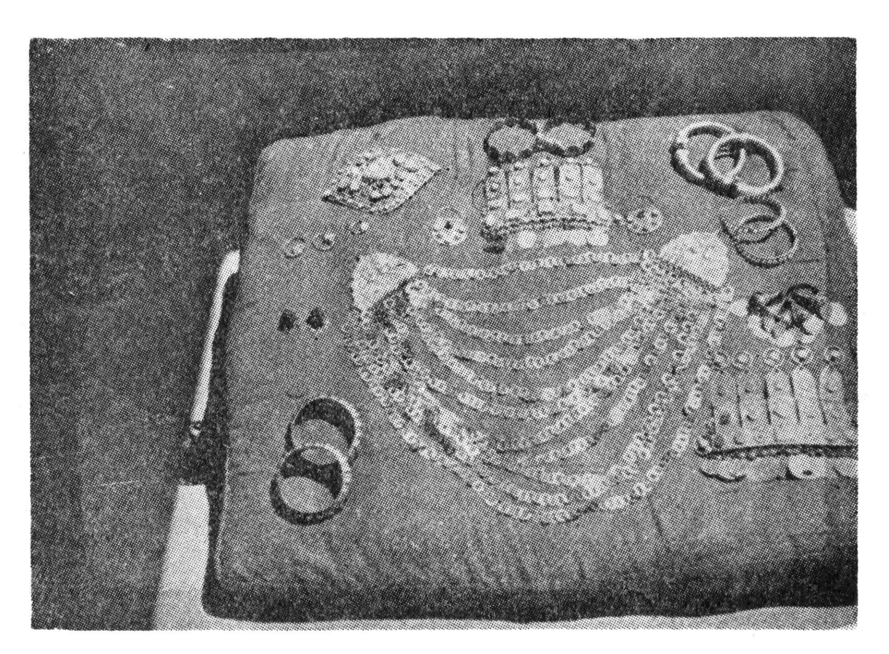
وذكر ابن خلدون :

« كان لباسهم وأكثر أثاثهم من الصوف يشتملون الصماء بالأكسية المعلّمة ويفرغون عليها البرنس الكحل ورؤسهم في الغالب حاسرة وربما يتعهدونها بالحلق ويظعن أهل العز منهم لانتاج المراعي قرب الرحلة لا يتجاوزون فيها الريف إلى الصحراء والقفر الأملس ومكاسبهم الشاة والبقر والخيل في الغالب للركوب والنتاج وربما كانت الإبل من مكاسب أهل النجعة منهم شأن العرب » .

كان الرجل الموسر يرتدي سروالاً طويلاً وفوقه قطعة من الكتان أو الصوف يلفها حوله لفة أو لفّتين ويضع طرفها الأخير على الكتف.. وقد أخذها الاغريق القدماء ثم الرومان الذين أسموها الطوقة التي كانوا يتطوّقون بها وهي « الجرد » الليبي الذي تراه في كل مكان بليبيا ويقتصر لبسه على الليبيين فحسب .

وكانت النساء الليبيات خلال عهد افريقش منمقات الهندام يرتدين عباءات من الجلود الناعمة المصبوغة باللون الأحمر مطرّزة باهداب من السيور والزنانير وكن يطلقن الشعر مسترسلاً على أكتافهن ويتحلين بالعقود المنظومة بخرز الفيروز أو الأحجار الكريمة .

وظهر من الأبحاث أن ثمة امرأة ليبية كانت تتزيّن بعقد ذي تسعة صفوف من الخرز الاسطواني الشكل بحواف مسننة من الأحجار



حلى عربية

المرصعة الكريمة وتتحلى بكردية مزينـة بنقوش آية في الزخرفـــة والروعة وتنتعل حـذاء مزخرفاً يخترق طرفيه المتوازيين سير من الجلد يبدأ من الرسغين إلى ما تحت الركبة . ولعل (الرقعة فيلالي) تشبه إلى حد ما الحذاء الحريمي القديم .

ويتضح مما تقدم أن الليبي القديم قد صنع أدوات الزينة والتمائم من الفيروز الأزرق والزمرد الأخضر ذي الألوان الاشعاعية البراقة . وقد أخذ عنهم الاغريق ذلك أثناء وجودهم في برقة خلال القرون التي سبقت الميلاد .

وقد عثر على بعض الأحجار الكريمة منقوشة عليها عبارات ورسومات للبطالمة فيما بعد بزمن بعيد . ولا ريب في أن الليبي القديم قد عثر على هذه المواد في منطقة الجنوب الليبي بمقادير نسبية .

ويبدو أن الصاغة الكنعانيين قد تفننوا في صناعة الحلي من الذهب والفضة والفيروز مثل الأقراط والأساور والخلاخيل والخواتم وزخرفتها بالنقش والتخريم . كما أبدع أولئك الصناع المهرة في صياغة الأحجار الكريمة ذات الخصائص غير الطبيعية كما صنعوا المرايا من البرونز والنحاس .

بالاضافة إلى ما تقدم فقد استخرج الكنعانيون المساحيق والدهون والعطور ومواد التحنيط من الأعشاب والأشجار والحيوانات والأرض وغير ذلك .

كان لكل منطقة أسلوب في حلاقة الشعر . سكان الغرب يحلقون شعر الرأس ويتركون ـ كشّة ـ شوشة في الوسط تضفر ضفيرة ويربط في آخرها تميمة بينما تحلق منطقة أخرى مقدمة شعر الرأس وتترك الخلف مسدولاً على الكتف . وثمة منطقة لا يحلق أهلها إطلاقاً وهي الطريقة المتبعة في شبه جزيرة العرب خلال عهد افريقش والتبابعة بل ومنذ العصر الظراني الحديث (المتوسط) حيث كانت عاد وثمود تتبع نفس الأسلوب .

كان النسوة يغزلن ويحكن وينسجن في بيوتهن الخاصة حاجة أهلهن من الملابس من الصوف والقطن والكتان أيضاً . وكان الكتان يزرع محلياً ومنتشراً على سواحل البحر الأبيض المتوسط خلال العهود القديمة .

كان الزي القومي يصنع محلياً آنذاك .

جماعة أفريقش والفنّ القديم

لا ريب في أن الشعب الذي لم يبدع فناً أصيلاً لا يملك تراثاً خالداً يثبت عراقته وأصالته وارتباطه بصناعة التاريخ الانساني.

وقد كان إحساس أسلافنا بالجمال قوياً مكّنهم من أن يصوغوا بذوقهم الفطري العديد من المبتكرات الفنية البدائية التي تطورت مع الزمن وأضحت خالدة .

وليس صحيحاً ما يزعمه المستشرقون من أن صوت العربي صاك ونشاز مصحوب بتنافر لا يرتقي إلى مستوى الذوق الفني والسمو الجمالي .

كان العربي القديم ذواقة وربما استوحى من أصوات العواصف وقصف الرعود وزمجرة الأسد ورغاء الإبل وثغاء الحمل وتغريد الطيور التموجات الصوتية المتناغمة المؤثرة ، ثم طوّر الصياح والتغريد والنقر

وحوّله إلى غناء متناسق يبعث في الإنسان النشوة التي تبدد كدر النفس .

ان شدو سائس الإبل أثنـــاء مسيرة القافلة عبر الصحراء يرسل تموجات متناغمة متناسقة يتردد صداها لدرجة تؤثر في الإبل نفسها بفعل النشوة والسرور والأمـــل الذي تحدثه في الحيوان فتراه يسير سيراً رتيباً آناء الليل دونما كلل أو تعب .

لقد نشأ العزف على الآلات ـ كما ذكر ديورانت ـ عن رغبـــة الإنسان في زيادة التهيّج الوطني بفعل صرخـات أو نغمات موزونة وهكذا تمت صناعة الطبول والأبواق والنايات من جلد الحيوان وقرنه أو عاجه أو أصدافـــه أو الخيزران أو الخشب أو القصب ومن أوتار القسي نشأت عشرات الآلات من القيثـــارة البدائيـة إلى الكمان الحديث .

كانت الألحان تلحّن قديماً لا للتعبير عن الذات بقدر مـــا كانت للمتعة وذلك على نغمــــة أداة بدائية انشادية وليست دوزنة متناغمة وإيقاعاً كما هي الحال الآن .

وكثيراً ما نرى راعي الغنم أو الإبل سارحاً وراء قطيعه يرسل بمقرونته (الأرغول) أنغاماً مستمدة من رهافة حس وصدق عاطفة أو إلهام فطري ، وغالباً ما يحذق توقيع النغمات لدرجة توافق أداء المعنى في انتقاله من مقام إلى مقام آخر ..

ولا يستبعـد أن تكون جماعـة افريقش هي التي أحضرت آلة

الأرغول الأولى من أرض سبأ والأرغن من بلاد كنعان علماً بأن الآلة الأولى كانت تستعمل في بادية جنوب شبه جزيرة العرب بينما كانت الثانية مستعملة في بلاد الشام خلال الألف الثاني قبل الميلاد.

ولا يخفى أن الأرغول ـ المقرونة ـ لم يتبدل شكلها ولا طريقة استعمالها فهي ذات قصبتين مجوفتين ملتصقتين وفي كل منهما خمسة ثقوب، ومثبت في كل منهما أنبوب صغير يسمى (بالوص) به فتحة من أسفل تشبه الشرخ وتمتد إلى فوق.

يوضع البالوص داخل الفم هنا اليوم كما كان يستعمل في شبه جزيرة العرب منذ آلاف السنين ويطبق عليه بالشفتين وينفخ فيه حتى تنتفخ الأوداج فيحدث صوتاً رخيماً متماوجاً. ومن الملاحظ أن النغمات تتغير تباعاً بتنقل الأصابع عبر الثقوب إذ ان كل ثقب يعطي نغمة شجية تهز العاطفة وتثير الشجون وتحرك الانفعالات وبالتالي تبعث في النفس البهجة والنشوة والأمل.

وفي الوقت نفسه أحضر بنو كنعان الأرغن وهي الآلة الموسيقية التي بها قربة جلدية وأنابيب ومنافيخ لتنغيم الصوت.

وما زال أهل الفن في البادية والواحات الجنوبية الليبية يستخدمون هاتين الآلتين في الأفراح حتى اليوم.

علاوة على ذلك كان لدى بني كنعان البوق والقيثارة والصفارة.

ومن هذه الآلات الدف أيضاً الذي جاء ذكره كثيراً في (الشرق الأوسط القديم) وفي التوراة ، راجع اصحاح ٦٨ سطر ٢٥ حيث يقول (من قـــدام المغنون ومن وراء ضاربو الأوتار ، في الوسط فتيات ضاربات الدفوف) .

وجاء في سفر التكوين بأن الآلات الموسيقية كانت جد قديمـــة وتنتسب إلى أحد سلالة قابيل الذي كان أباً لكل ضارب على العود أو نافخ في المزمار مما يدل دلالة واضحة على أن هذه الآلات قـد سبقت عهد افريقش بآلاف السنين .

ومن الواضح أن الكهنة استعملوا هـــذه الأدوات في الأغراض الدينية واستعملها آخرون في أغراض الطرب .

ومن الصعب معرفة الأنغام التي كانت تضرب على هـذه الآلات وتغنى مع الضرب على هذه الأناشيد كما اتفقت جميع المراجع ، غير أن هذه الألحان والتوقيعات كانت تدور حول المواعظ والمعجزات الدينية إذ كان هنـــاك منشدون يرتلون الأناشيد وغيرهم يوقعون المدائح على نقرات الدفوف منذ عهد ابراهيم الخليل (ص) .

وقد ظهرت الدعكسة وهي رقصة حلقة تعبيرية كان يمارسها آل افريقش قبل أن يظهر الاغريق على مسرح الأحداث في شمال افريقيا بمئات السنين .

وقد جاء في الشرق الأوسط القديم أن الطباق المستعار من بني كنعان

قد أسبغ على المزامير والمؤلفات الشعبية في العهد القـديم الكثير من الفخامة والبهاء وجمال الأوزان .

لقد ساهم الأوائل في الانتـاج الفني على نحو يعبّر عن الإحساس والشعور والأفكار ويثير في النفس نشوة الفرح الفطري بمـا فيه من صدق وواقعية .

ومع مراعاة التمسك بأهداب الفضيلة فلا بأس أن يمارس الجيل المعاصر الفن بكيفية تحافظ على الغيرة في الرجـل والعفة في المرأة مساهمة في تهذيب الذوق دونما ابتذال أو ميوعة أو تقليد للمجتمعات المتهتكة المنحلة ..

أفريقش واللغات القديمة

هل كانت اللغة العربية سائدة في عهد افريقش ؟

من الصعب أن نكون على إلمام تام ومعرفة باللغات القديمة التي كانت سائدة في عهد افريقش نظراً لعدم وجود مراجع ووثائق لذلك العهد .

كانت اللغة العربية محدودة و (منتكسة) في عهد افريقش رغم انها سبقته بآلاف السنين وازدهرت على أوسع نطاق .

ومن المعروف أن اللغة العربية انتشرت في عاد وثمود خلال الألف الثالث قبل الميلاد واندثرت مع قوم هود وصالح (ص) ثم عادت بعد ذلك بقرون .

وقد تكلم سكان ليبيا القديمة لغة واحدة ذات لهجات متنوعة جيء بها من شبه جزيرة العرب وهي تحمل بين ثناياها شتى الخصائص والمفردات من اللغات الآرامية والكنعانية والعبرية والمصرية وهي أقرب

إلى لغة الضاد اليوم .

كان اسماعيل (ص) يتحدث السريانية والعبرية في بداية حياته ، ثم سكن في مكة وتكلم لغة جرهم الثانية وهي العربية التي بلّغ بها رسالته السماوية .

ويرى العلامة ابن خلدون انه لم يوجد في قحطان من نوح إلى عابر من كان يتكلم اللغة العربية ..؟؟

ولكننا نخالفه الرأي – بكل تواضع – لعدة أسباب ، أبرزها :

أ – ان عابراً هو النبي هود (ص) وكان من المتكلمين باللغة العربية وهو الذي جادل قومه وحاججهم وناقشهم بهذه اللغة التي جبلوا عليها واتقنوها على السليقة الأصيلة .

ب – كانت اللغة العربية سائدة في الأحقاف وارم ذات العماد بين شعوب جرهم الأولى وعاد وثمود الذين سبقوا هوداً واتقنوها ونطقوها أصالة وذلك قبل اندثارهم . وجاء في القرآن الكريم « كذبت ثمود وعاد بالقارعة ، فأما ثمود فاهلكوا بالطاغية، وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية » .

ج – كانت هذه الشعوب من أقدم الأمم في الأرض بعد طوفان نوح (ص) وقد شيدت حضارة كبرى . وقال لهم هود « واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح » .

ومما تقدم نستنتج انه كان يوجد من يتكلم العربيـة خلال الفترة التي كانت تفصل ما بين عهد نوح وعهد عابر (هود) إذ ان عاداً وثمود وجرهم الأولى كانت قد سبقت عابراً بأكثر من خمسة أجيال .

هكذا سادت اللغـة العربية ثم بادت أو انتكست بعد انقراض قوم هود وصالح (ص) ونقلها قحطان ابن هود وانتشرت في اليمن والحجاز على أيدي يعرب بن قحطان . وكان الفضل في إحياء وإنمـــاء العربية يرجع لسبأ وحِمير وكهلان وصيفي وغيرهم من أبنـــاء يعرب بن قحطـان .

وعند وصول اليهود لأول مرة إلى أرض كنعـان من أور كانوا يتكلمون لهجة آرامية أقرب مـــا تكون إلى العربية ، ولكنهم كانوا ينطقونها متأثرين بقواعدهم ونحوهم ومفرداتهم[1] اللغوية. وقد اصطلح على تسميتها باللهجــــة العبرية . ولم يبد لهذه اللغة استقلال إلا سنة ١٤٠٠ ق م إلى أن انقرضت كلغــــة للتخاطب لدى بني اسرائيـل واستبدلت بعد مضي حوالي ألف سنة باللغة الآرامية التي انتشرت في جزيرة العرب وبلاد الشام وكتب بها انجيل عيسى بن مريم ، عليـه السلام .

وكان قد ظهر في اليمن منذ أربعين قرناً قبل الميـــلاد الملوك

---

١ – مقارنة الأديان – اليهودية .

والأمراء المعينيون وشيدوا حضارة قبل عهد سد مأرب ، وكان لسانهم عربياً .

وقد اندمج الآراميون والكنعانيون والفينيقيون المنحدرون من أرومة سامية مع بني حمير وصيفى وكهلان في العروبة وانصهروا في بوتقة اللغة والتاريخ والمصير في منطقة الشرق عندما حلت بالكنعانيين الكارثة على أيدي يشوع بن نون ، وبعد ذلك في شمال افريقيا .

ومن الملاحظ أن ذرية جويلة بن كنعان التي استوطنت واحات أوجلة وسيوة قبل مجيء افريقش ما زالت حتى اليوم تتشبّث بلهجة الأجداد القدماء التي جبلوا عليها وتوارثوها أباً عن جد .

ونسوق على سبيل المثل ، لا الحصر ، بعض كلمات لغة أهل أوجلة وغدامس وسيوة القديمة ونحاول مقارنتها بما يقابلها من كلمات عربية :

اللغة الليبية القديمة	اللغة العربية
اباه	اب
اماه	ام
اميه	ماء
دمين	دم
رواح	رياح

ومما تقدم ندرك أن الاشتراك اللفظي يتجانس مـــع التحوير في المضمون فالمعنى واحد وان اختلف النطق نسبياً .

وعلاوة على ذلك تعتمد اللغة القديـــة على الحروف الصامتة دون الأصوات وترجع اشتقاقاتها إلى ذي ثلاثة حروف .

ومن جهة أخرى اتفق المؤرخون على أن الحروف العربية واللاتينية كانت قد انبثقت من أصل واحد ، وقد اعتمد الأوربيون على بني كنعان في كتابة الأبجدية (أ ب ج د) A B C D وهي التي تشبه الأبجدية السامية التي سبقت الهيروغليفية بزمن .

وقد أخذ الاغريق الحروف الأبجدية من بني كنعان اما في فلسطين أو المدن الشرقية الليبية الخمس بينما أخـــذ الهنود حروفهم الأبجدية وأرقامهم الحسابية من بني حمير بعد عهد افريقش بزمن بعيد .

كانت كل اللهجات في شبه جزيرة العرب وشمال افريقيا نابعة من أصل سامي واحد ويمكن تقسيمها جغرافياً إلى ثلاث فصائل رئيسية تعكس مختلف الروابط الأسروية والصلات القبلية منذ آلاف السنين :

١ ــ الفصيلة الجنوبية تشمل :

أ ــ العربية الفصحى .

ب ــ الحميرية (السبئية) .

ج ــ الأمهرية .



كتابة بالخط الحميري منقوشة على حجر

٢ ـ الفصيلة الشمالية تشمل :

أ ـ البابلية والآشورية .

ب ـ السريانيـة والنبطية والصابئية .

ج ـ الآرامية والتدمرية والسامرية .

٣ ـ الفصيلة الوسطى تشمل :

أ ـ الكنعانية .

ب ـ المؤابية والعبرية .

ج ـ الفينيقية .

وفيما يلي مقارنة ما بين العربية الفصحى والكنعانية :

العربيـة	الكنعانيـة
أب	أبو
خال	خالو
عم	عمو

وإذا قارنا مفردات أية لهجة سامية مما تقدم نراها ترجع إلى أصل واحد يشبه لغة الضاد اليوم مما يزيدنا يقيناً أن هذا الأصل كان راسخاً وتفرعت عنه فروع عديدة لم يكتب لها البقاء إلا فيما ندر ومع اختلاف نسبي بينما ازداد الأصل رسوخاً بعد أن خلّده القرآن الكريم بعد مضي أكثر من ألفي سنة من عهد افريقش .

هَل كَانَ أفريقش مُسْلمًا ؟

سؤال صعب والإجابه أصعب ...

من الصعب التأكيد أو النفي إذا كان افريقش مسلماً أو وثنياً لأن كثيراً من الناس كانوا خلال ذلك العهد يؤمنون بصحف إبراهيم الخليل وتعاليم هيرميس ورسالات التوحيد المنزلة التي حملها بالتعاقب كل الرسل مثل نوح وصالح وهود وغيرهم (ص) على الرغم من أن كثيراً من الملحدين قد تصدوا لرسالات الحق والوحدانية ورغم أن عمرو بن لحي قد كفر ودعا إلى عبادة الأوثان التي انتشرت انتشاراً واسع النطاق في المنطقة .

وعلى الرغم من تجلي الدعوات الدينية وانحصارها في السلالة السامية في مكة ويثرب وبعلبك ومدين وأور وأرض كنعان واعتناق أجيال كثيرة لرسالة الوحدانية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان الانسان القديم تجتذبه أساطير وخرافات لفقها خيال فج مريض لا تخلو منه

العصور السحيقة التي كان يسودها الغموض والابهام . وبرزت الأصنام التي سجد لها الضالون المكذبون من دون الله .

واكتظت آفاق شبه جزيرة العرب ومصر وبابل وآشور والهند والصين وشمال افريقيا بالأوهام والخوارق .

ورسم السحرة والكهان والمشعوذون في أذهان الناس الكائن الاسطوري والتنين الخرافي والقصور المرصودة والمردة والشياطين (الحمر) في محاولة ساذجة لاستخدامها لإبراء المرضى أو درء شر أو التماس خير أو تفسير ظاهرة طبيعية أو معرفة مجهول .

ومن الطبيعي أن يتمزّق الانسان في عهد افريقش بين الأساطير والأوهام ويتشتّت العقل السطحي بين الحقيقة والخيال وبين الشك واليقين .

كانت بدائية الانسان وإحساسه بالعجز أمام قوى الطبيعة سبباً دفعه إلى التفكير بما فوق الطبيعة وتولد الاتجاه الروحي الذي كان تارة يسمو إلى مرتبة الإيمان العميق بصانع الكون ومسيّره وتارة يهبط إلى حضيض الوثنية .

وبدأ الانسان في شمال افريقيا يعبد النار والكواكب والحيوان ووضع الكبش في مصاف الالهة على اعتبار أن وراء كل (إله) قوى خفية تحقق له الأحلام وتدرأ عنه الأذى .

وظهر القائلون بتناسخ الأرواح وأشاع فلاسفة آسيا أن روح الميت

تعود مرة أخرى إلى جسد آخر ربما يكون إنساناً أو حيواناً أو حشرة دون أن تذكر شيئاً عن حياتها السابقة وسوف تتعذب أو تنعم جزاء على سلوك صاحبها في الحياة السابقة .

وانتكس الفكر وصار يتأرجح ما بين الكفر والإيمان ، وانتشرت الخرافات التي وضعت لها صحف إبراهيم الخليل حداً مدحضاً .

الدين يقر بخلود الروح ووجوب محاسبتها على ما ارتكبت مع جسم واحد وليس أكثر إذ قال تعالى : « اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون » وقال أيضاً : « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » وقال أيضاً : « علمت نفس ما قدمت وأخرت » .

ومن المسلم به أنه ما دامت مسؤولية الروح قد أنيطت بجسم واحد تشهد أطرافه عليها يوم القيامة فليس من الصواب أن تحاسب أكثر من مرة مع أكثر من جسم وعلى أعمال لا تعيها [١] .

وكثيراً ما يرتقي التفكير الانساني إلى الأوج ويصيب الهدف فيقول مورقان [٢] :

« العقل والمادة يتصلان ويتطوران معاً ، ولا يتطور أحدهما عن

---

(١) قال الله تعالى: «وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً » .

(٢) كتاب الله .

الآخر ولكنهما متلازمان لا ينفصلان ، فلا عقل بلا مادة ، ولا مادة بلا عقل في شيء من الأشياء . وهو يعتبر العقل والحياة من خصائص المادة المستكنة فيها من أزل الآزال. ويتساءل من ذا الذي يخرج هذه الأطوار بعضها من بعض على هذا الترتيب العجيب ؟ . ويجيب : « إنه تدبير الآله أو توجيه الاله ، فليست قوانين التركيب والانتقاء عنده بمغنية عن العناية الآلهية في نهاية المطاف » .

ويضيف مورقان :

« ومن ناحية أخرى إذا نحن استبدلنا كلمة نظام بكلمة المنظم لم نعد بذلك أن نسمي هذه الحقيقة الواقعة وهي أن الكون يجري على نسق يخرج منه النظام ، وفي وسعنا أن نسمي الكون الذي ندركه على هذا النحو (إلهاً) أو ننسى أو لعلنا بذلك نفسر ـ ذلك السرف أو ذلك التلف المنطويين في ذلك الاجراء .. ولكن بأي معنى يصلح إله كذلك الإله للعبادة ؟. إنما يصلح للعبادة على معنى واحد وهو أن نعود فندخل على فكرة النظام التي هي وصف لبعض الوقائع المقررة فكرة المنظم المدبر » . ويضيف :

« لا نحاول تعريف الله مباشرة بل نسأل أنفسنا ، هل هناك محل في العالم للصفة الإلهية ؟ ثم نمحّص حقيقة ذلك الكائن الذي يتصف بتلك الصفة ، ونرجع إلى الحاسة الدينية لكي يطابق ذلك الكائن صفات الآله الذي هو أهل للعبادة ، فأين إذن محل الإله في مجرى الأشياء إذا

كان له محل على الاطلاق ؟ » .

« في هـذه المادة الشاملة التي تتولد من الفضاء والزمان ، لا يزال الكون يعرض انبثاقاً بعد انبثاق لسلسلة من الكائنات المحدودة يتسم كل منها بخصائصه وصفاته ، وأرفع هذه الكائنات المعروفة لدينا هو العقل أو الواعية ، فالاله هو الكائن الذي يعلو على أعلى ما عرفناه . والالهية صفة تتولى الصفات التي دونها من طبقة العقل الذي يقوم هو أيضاً على ما دونه من صفات وينبثق عندمـا تبلغ الكائنات مبلغاً مقدوراً من التركيب والتنسيق » .

ويقدر هـذا الفيلسوف المؤمن « أن الاله الأعلى الذي ينبثق عنه العالم هو من معدن الروح والعقل ـ الله ليس كمثله شيء ـ لأنها الطريق التي تؤدي منها إليه ، ولكنه يشارك الموجودات في خصائصها الكونية كما يشارك الانسان العاقل في خصائص المـادة وخصائص سائر الأحياء على نحو من الأنحاء » .

« فالوجود ـ والكلام لمورقان ـ درجات هي أولاً وجود الزمان والمكان . وثانياً وجود المادة التي لا كيفية لهـا غير الشكل والحجم والعدد وما لا نحتاج إلى علاقة بغيره ولا حاسة مميزة لادراكه . وثالثاً وجود المادة التي تتكيف باللون والرائحة والصوت ويبلغ بها التركيب مبلغ التمييز بالحاسة التي تناسبها .. ورابعاً وجود الحياة وتبدأ بالاستجابة الحسية التي تشبه في ظاهرهـا استجابة بعض المواد ـ غير العضوية ـ

لبعض المؤثرات. وخامساً، وجود الحيـاة العاقلة الواعية، وسادساً، وجود الاله الذي يعلو ويعلو مع الزمان الأبـــدي السرمدي بغير انتهاء».

كان سمواً فكرياً تبوأ مبوأ عظيماً أن يسبر المرء أغوار المعرفة، لقد بنى فلاسفة الانبثاق إيمانهم على أن الحركة هي أصل المادة التي تصدر عن مصدر واحد وهو الكون المؤلف من الزمان والمكان. وهم يرون أن المكان ليس فراغاً إلا إذا انفصل عن الزمان وليس الزمان عدمــاً إلا إذا انفصل عن المكان، وباتحادهمـــا ظهرت الحركة التي هي أصل المـــادة.

وهناك قوى عظمى أقدم من الزمان وتحتويه وأكبر من المكان وتحتويه وتصدر عنها الحركة، لا تراها العين المجردة، ولا يدركهـــا العقل البسيط. هـــذه القوى الخارقة هي (الله) الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية، الوجود المطلق، والارادة المطلقة، الله الذي جعل من الماء كل شيء حي، ويسيّر الكون، ويحيي ويميت وهو على كل شيء قدير.

لا ريب أن فلسفة الايمان كانت قد انبثقت عن رسالات الأنبيـاء والرسل وترجمة مبسطة لمحتوياتها. وكما يوجد الآن مؤمنون وملحدون فلا غرو أن يوجد في عهد افريقش مؤمنون وملحدون في آن واحد.

لقد حطم الأنبياء الأصنام وسفهوا أحلاماً وغيروا عقائد درجت

عليها شرائع الحاكمين والمحكومين ، ولم يكن وجود الأنبياء[1] ندرة ولم يكن بينهم فترة أو لم يكن حتماً لزاماً أن تكون بينهم فترات فقد يوجد منهم في العصر الواحد أربعمائة نبي كما جاء في سفر الملوك الأول .

إن الله تعالى هو المعلم والملهم والوهاب إذ قال : « اقرأ وربك الأكرم الذي علّم بالقلم علّم الانسان ما لم يعلم » والعالم القديم ليس كما يتصوّره البعض الآن أنه عالم متخلف مفعم بظلام الجهل .

رسالة التوحيد منذ عهد هيرمس

لقد حمل هيرميس (ص) رسالة التوحيد منذ آلاف السنين التي سبقت عهد افريقش . وكان أول من وضع للبروج والكواكب أسماءها[2] ورتّبها في بيوتها وأثبت لها الشرف ، والوبال ، والأوج ، والحضيض ، والمناظر ، والتثليث ، والتسديس ، والتربيع ، والمقابلة ، والمقارنة ، والرجعة ، والاستقامة . وقد علّمه الله تعالى تعديل الكواكب وتقويمها ، وأفهمه عدد السنين والحساب .. وقد بلغ في العلوم والحكمة والرياضيات والمساحة والفلك مبلغاً عظيماً .

وجاء في (الرسالات الكبرى) أن هيرميس رأى يوماً وهو في حالة

---

(١) حياة المسيح .
(٢) الرسالات الكبرى .

انخطاف روحي الكون والعوالم متجلية أمامـه ، والحياة منتشرة في باطن كل شيء فصاح به صوت النور الأقدس العـــالي للكون جميعه ، وكاشفه بالسر قائلاً :

« إن النور الذي رأيته هو الروح الإلهي العلوي ، سر كل شيء والمتضمن رسوم كل الكائنات » .

« أما الظلمة في العالم المادي فهي العالم المادي وفيه بنو الأرض ، والضياء المتدفق من الأقاصي هو العقل الالهي ، وباتحادهمـــا تكون الحياة . أما روح الانسان فوضعها على وجهتين الأولى اعتقالها في المادة حين تشبثت بهـــا والثاني ترقيها في النور إذا أدركته ووصلت إليه بالمعرفة . والأنفس هي بنات السماء وسفرها تجربة لها ففي التجسد تفقد ذكر منشئها السماوي . ولاعتقالها بالمادة وسكرها بنشوة الحيـاة تنحدر كغيث ناري إلى أقطار العذاب والهاوية والسجن الأرضي العـائش أنت فيه الآن تحسب الحياة الإلـٰهية أضغاث أحلام وتتيقظ من هذه النومـة إذا اكتحلت بصيرتك بنور المعرفـــة وعودت نفسك طريق السمو الروحي » .

وأضاف الصوت الأقدس لهيرميس وهو ما زال في حالة انخطاف :

« إن النفس الشريرة تبقى معتقلة في الأرض بأغلال شهواتهـــا ورغباتها الأرضية ، إنما الأنفس الفاضلة ترقى متطايرة إلى الأفلاك العلوية لتحظى برؤيا المعاني وتتشبّع منها قوة مـــا امتلكته من الاختبارات والمعارف والارادة الفعالة المكتسبة في وسط الآلام والشدائد والجهـاد

بإرادتها المتحررة ، وتصبح هي ذاتها نورانية لامتلاكها النور الإلـهي في جوهرها وأفعالها ... فتّش إذن قلبك ـ يا هيرميس ـ وسكّن روعك عند نظرك إلى الأنفس الصاعـدة في معارج الأفلاك العلوية توصلاً إلى المبدأ الأول الذي منه يبدأ وفيه ينتهي كل شيء منذ الأزل ، ثم سبّحت هاتفة معاً ، الحكمة ، الحب ، العدل ، البهاء ، العظمة ، العلم ، الخلود » .

انتشرت هذه التعاليم في المنطقة واعتنقتها أقوام كثيرة جيلاً بعد جيل ثم لم تلبث أن تخلت عنها أجيال أخرى وأخذت تعبد الأصنام والكواكب وظهر ما يسمى براع وآمون وبتاح وغير ذلك الأمر الذي مهّد لظهور نبؤات جديدة لهداية الناس الذين أعماهم الكفر والجحود والضلال .

ومن هنا لا نستطيع أن نؤكد أو ننفي ما إذا كان أجدادنا وعلى رأسهم أفريقش من المؤمنين أو الكافرين ، ولكن يمكن أن نقرر أن ثمة فريقاً منهم هداه الله تعالى إلى الصراط المستقيم وأن هناك فريقـاً آخر اتبع حزب الشيطـان . ومن الصعب أن نحدد إلى أي الفريقين كان ينتمي ...

لقد تجلت الدعوات الدينية في المنطقة العربيـة إذ رمّم إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل (ص) الكعبة في مكة بيتاً يعبد فيه الله تعـالى وحجاً للناس كما أمر الله . وقد انصرف الأول إلى أرض كنعـان سنة ١٨٥٠ ق.م ومكث الثاني ـ قبل أن تلحق ذريته بالأول فيما بعد ـ بين

جرهم الثانية وحمل إليهم رسالة الاسلام فآمن به كثيرون وأعرض عنه كثيرون إلى أن تولى ابنـــه قيذار ـ بعد وفاته ـ رعاية الابل وبيت الله الحرام.

وغني عن البيان أنه قـــد سبقت عهد افريقش صحف إبراهيم وموسى . كانت توراة موسى بأسفارها الخمسة : التكوين ، والخروج ، واللاويون (الأحبار) والعدد ، والتثنية ، علاوة على أسفـــار الأنبياء المتقدمين مثـــل يشوع وقضاة وصموئيل الأول كانت كلها تدعو إلى الوحدانية وتستنكر العبادات الوثنية والأفلاك السماوية .

لقد كانت غارات التبابعة على بلاد أدوم وجبال سعير في عهد صوفر وما سبقه وما تلاه تدل دلالة واضحة على أن بني حميَر وجماعة افريقش بالتحديد لم تعتنق الديانة اليهودية .

الكنعانيّون واليهود قبل عهد أفريقش

ما مدى ارتباط افريقش ببني كنعان ؟

وهل اشترك في الحرب ضد اليهود ؟ وهل قام بدور إيجـــابي في أحداث فلسطين ؟.

وأين كان يقيم خلال هجوم يشوع بن نون على بني كنعان ؟.

أسئله كثيرة تتبادر إلى الذهن نحاول بقدر الامكان الاجابة عليها .

إلا أننا نود قبل أن نستعرض علاقة افريقش ببني كنعـــان أن نلقي الأضواء على أرض كنعان في لمحة عابرة وأن نحاول أن نبين مدى تطلّع اليهود إليها منذ فجر التاريخ وكيف تحوّل هذا التطلع الوهمي إلى أطماع حقيقية أضفى عليها الأدب اليهودي القديم صبغة « الشرعية » مغالطة ، وحاول بنو اسرائيل تنفيذها بالقوة تارة وبالخيانـة والغدر

تارة أخرى على اعتبار أن الرب قد منحهم هذه الأرض .

وغني عن البيان أن الله سبحانه وتعالى لم يوزع سندات تملك على أمم الأرض في أي وقت من الأوقات ، ولم يفضّل مخلوقاً على آخر إلا بالتقوى ، ولم يكرّم أمة إلا بالعمل الصالح . ومن ثمّ فإن ادعاء اليهود بأنهم موعودون بالأراضي المقدسة هو ادعاء باطل لا أساس له .

لقد كانت هالة اليهود أكبر من حقيقتهم إذ لم يؤتوا من الأهمية خلال الزمان القديم قدر ما تركوا [1] من التأثير فيما عقب ذلك من تاريخ العالم. وترجع أهمية اليهود في العالم إلى كونهم أنتجوا أدباً وتاريخاً عالمياً ومجموعة من القوانين والتواريخ وكتب الحكمة والشعر والقصص والكلم السياسية وهي التي أصبحت في النهاية ما يسميه المسيحيون باسم العهد القديم، وهو التوراة العبرانية .

اغتصاب أرض كنعان

كانت فلسطين منذ زمن بعيد تدعى أرض كنعان يقطنها مع بني كنعان الآراميون والأموريون وذلك قبل أن يظهر أي أثر لليهود في العالم قاطبة ، فقد نزح إليها مواليد اسماعيل (ص) ومعهم جرهم الثانية قادمين من الحجاز قبل الألف الثاني قبل الميلاد . ومن نسل هؤلاء جاء

---

(١) A Short history of Civ.

العرب الذين يعرفون بالعرب العاربة .

لقد تسامقت حضارة الكنعانيين خلال العصور القديمة أوج الرقي وتبوأت مبوأ عظيماً نافس جاراتها أدوم ومؤاب وعمون وسكانها الآراميين الذين يرتبطون برباط وثيق مع بني كنعان في العنصر واللغة والمعتقدات . وقد نافس هؤلاء معاً جارتيهم العتيدتين : مصر وبابل بل وتقدموا عليهما بأشواط .

التجأ في هذه الأثناء اسحق – جد اليهود – إلى أبيمالك ، ملك بني كنعان خلال القرن التاسع عشر قبل الميلاد طالباً مأوى وملاذاً بعد أن حلت المجاعة بأرض سكناه في بادية الشام / الحجاز .

وقد رحب به أبيمالك الذي لم يحسب آنذاك أن تطالب ذريته، أي ذرية اسحق ، بملكية الأرض المقدسة فيما بعد، وأوصى الشعب ألا يمسوه بسوء [1]. وهكذا استوطن جد اليهود بلاد كنعان وزرع أرضاً ورعى الشاة وأنجب من زوجته رفقة توأمين هما عيسو ويعقوب (اسرائيل) ثم توفي عن عمر يناهز الثمانين بعد المائة .

ارتحل يعقوب (اسرائيل) إلى جاران اثر نزاع مع شقيقه عيسو والتحق بخاله لابان ببادية الشام ورعى غنمه وتزوج من ابنتيه وهما ليئة وراحيل ثم تزوج أيضاً بجاريتيهما زلفة وبلهة وخلف من النساء

---

(١) توراة ، سفر التكوين ، اصحاح ٢٦ .

الأربع اثني عشر طفلاً وطفلة واحدة وهم الذين كوّنوا فيما بعد أسباط (قبائل) بني اسرائيل .

كانت أسماء أبناء يعقوب من ليئة هم رأوبين وشمعون ولاوي ويهوذا وقد أصبحوا [1] رؤساء أربعة أسباط واقترنت أسماؤهم بتواريخ أسباطهم فقد ولد موسى في سبط لاوي وولد داود في سبط يهوذا وجاء عيسى بن مريم من نسل داود . كما أنجبت ليئة طفلين آخرين وطفلة وهم يساكر وزبولون ودينة .

في حين أن بلهة خلّفت نفتالي ودان بينما خلّفت زلفة جاد وأشير وخلّفت راحيل يوسف وبنيامين .

وخارج أرض كنعان مكث يعقوب في خدمة خاله لابان حتى تجاوز عمره قرناً ثم توجه إلى جلعاد في الأردن ثم سعير حيث اجتمع بشقيقه عيسو وانتهى به المطاف في مدينة الحويين ، بينما استقر شقيقه عيسو في منطقة سعير وخلف ما يسمى بالأدوميين .

ابتدأت أطماع بني يعقوب (اسرائيل) في أرض كنعان منذ حادثة دينة وشكيم [2] وغزو يشوع بن نون واحتلال طالوت للديار المقدسة خلال الألف الأول قبل الميلاد .

---

(١) سفر التكوين .

(٢) سفر التكوين ، اصحاح ٣٩ .

وجاء في التوراة أن شكيم قد طلب يد دينة ابنة يعقوب ووافق إخوتها بشرط أن يختتن كل رجال المدينة ، واستطاع شكيم إقناع هؤلاء بالاختتان فاختتنوا . وفي اليوم التالي هاجم شمعون ولاوي المدينة وقتلا كل الذكور بينما كان سكانها عاجزين عن القتال ، وقد أعادا دينة إلى بيت يعقوب ، أما بقية الأبناء فقد سبوا النساء والأطفال ونهبوا كل ثروة مدينة الحويين ثم لاذوا بالفرار خوفاً من انتقام بني كنعان .

وتوجه يعقوب وأبناؤه الأثنا عشر إلى بيت ايل ثم استقروا في دوثان التي تآمر فيها أبناء يعقوب على أخيهم يوسف وألقوا به في البئر .

وفي هذه الأثناء كان ملوك التبابعة قد حاربوا مصر مع ملوك الرعاة مع العلم أن أهل فزان قد زودوا الفراعنة بالمركبة الحربية التي ساهمت في دحر الغزاة .

أما يوسف فقد مكث في الجب (البئر) إلى أن انتشله رجال قافلة من تجار الاسماعيليين وباعوه في مصر لفوطيفار رئيس شرطة فرعون. وقد حاولت زوجة مخدومه اغراءه على ارتكاب الخطيئة ولكنه رفض وكادت له كيداً أدى به إلى السجن ثم خرج وجعله الفرعون رمسيس أوقاسان أميناً على ثروة مصر ... وعلى أثر ذلك دخل أبناء يعقوب وحفدته أرض مصر وكان عددهم حوالي (٧٥) شخصاً واستوطنوا في

الجهة الشمالية الشرقية .

وتكاثر عدد اليهود من الأسباط الأثني عشر الذين تفرعت عنهم عشائر بني اسرائيل ومكثوا في غسان قرب الزقازيق . وقسم يعقوب شمعون ولاوي وفرقهما فولد موسى وهارون من سبط اللاويين.

وقد شغلت الدنيا بني اسرائيل وألهتهم مظاهرها عن الدين فنسوا تعاليمه ودعوتـــه فنسيهم الله [1] وسلط عليهم من لا يرحمهم فإذا بهم يستحيلون إلى عبيد لفرعون وخدمـاً رقيقاً مهانـاً يتصرف فيهم كما يشاء ويفعل بهم أعوانه مـــا يريدون يذبحون أطفالهم ويستحيون نساءهم ويسيمونهم الخسف ويدوسونهم بالصغائر جزاء وفاقاً لما فعلوا ونسوا وصية يعقوب [2] .

ولعل دوافع هذا الاضطهاد كانت ترجع إلى تعاون اليهود مــــع أعـــداء مصر الهكسوس ، فنكّل بهم رمسيس الثـاني تنكيلاً شنيعاً باعتبارهم طابوراً خامساً يتجسسون على المصريين لصالح أعداء مصر .

لقد اعتبر المصريون بني اسرائيل الذين تكاثر عددهم شيئاً بغيضاً بالنسبة لهم [3] لأنهم غرباء عن أهـــل مصر الذين آووهم وأكرموهم

---

(١) الرسالات الكبرى .

(٢) نفس المرجع .

(٣) نفس المرجع .

واستقطعوهم أرضاً فقابلوا الإحسان بالإساءة ، ولم تستطع السنوات التي قضوها في مصر أن تغير منهم أو تدمجهم في المجتمع الذي نزلوا بأرضه فعاشوا فيها طوال هذه السنين غرباء لهم عاداتهم وتقاليدهم ولغتهم وعباداتهم التي خرجوا بها من الأصل القديم ولم يحسنوا توارثها مع الأجيال[1] .

وأبى فرعون مصر أن يتكاثر عددهم فراح يذبح أبناءهم خاصة وان عرافيه أخبروه أن من بين هؤلاء الناس سوف يولد صبي سيعلو نجمه على كل نجم ، وسيقضي على مجد فرعون . وقد نجا موسى وعندما اشتد عوده وبلغ مبلغ الرجال دبر أن يخرج بني اسرائيل من مصر سراً . غير أن الفرعون منفتاح لحق بهم وهلك ونجا موسى مرة أخرى سنة ١٢١٠ ق م وكان عددهم قد تجاوز مليوناً حينذاك .

التف اليهود حول موسى لا كرسول صاحب رسالة هداية للبشرية قاطبة ولكن كقائد وزعيم يرجى على يده الخلاص من استعباد فرعون[2] . ولذلك لم يكادوا يتحققون من نجاتهم حتى شغبوا به في شبه جزيرة سيناء .

وتروي التوراة صياح بني اسرائيل بموسى وهارون (ليتنا متنا

---

(١) الرسالات الكبرى .

(٢) اليهودية – مقارنة الأديان .

في مصر إذ كنا جالسين عند قدور اللحم ونأكل الخبز للشبع ، فإنكما أخرجتمانا إلى هذا القفر لكي تميتا هذا الجمهور بالجوع) وعندما استبطأ اليهود موسى في جبل الطور حيث مكث أربعين يوماً ارتدوا إلى الوثنية وسجدوا للعجل من دون الله .

ولم يتجرأ بنو اسرائيل على دخول أرض كنعان إذ قالوا لموسى (يا موسى انا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها ، فاذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا ها هنا قاعدون) . ومكثوا أربعين عاماً وهي ما تدعى بسنوات التيه ، التي توفي خلالها هارون ثم موسى (ص) .

وفي هذه الأثناء كان نفوذ ملوك التبابعة يمتد من اليمن إلى شمال افريقيا وحتى أرض بابل وأذربيجان ، ولهم مع بني كنعان روابط وثيقة خاصة .

وتولى يشوع بن نون قيادة اليهود بعد وفاة موسى وانتهى به المطاف في منطقة حشبون التي قتل ملكها سيحون وشرد أهلها . وفي الوقت نفسه صعد بنو اسرائيل إلى باشان حيث قتلوا عوج ملكها في منطقة عشتاروت بأرض مؤاب واستولوا على شطيم واتجهوا شمالاً عبر نهر الأردن ليحتلوا أريحا وعاي ثم أورشليم .

هكذا استطاع اليهود لأول مرة الدخول إلى أرض كنعان غزاة فاتحين كما ذكرت دبورة قاضية اسرائيل ، ولكنهم ظلوا في مناوشات لا نهاية لها مع أصحاب الأرض .

وكان مقتل سيحون وعوج وتشريد سكان عمون وباشان ومؤاب قد حز في نفوس التبابعة الذين يرتبطون بهم ارتباطاً أخوياً وثيقاً . ووصلت نجدة الحميريين وكهلان وصيفي بقيادة افريقش لإنقاذ اخوانهم الذين أخذت أرضهم وديست كرامتهم وأصبحوا مشردين لا مأوى لهم . وتمكنت هذه النجدة من استعادة بعض المناطق وافتكاك الأسرى الكنعانيين من قبضة اليهود .

وقد تضاربت آراء المؤرخين القدامى حول مجيء افريقش إلى أرض كنعان وهجرة بعض الكنعانيين إلى أرض لوبيا وعودة بعضهم فيما بعد للقتال ضد اليهود والقبائل الأوربية الهمجية بغية استعادة الأرض المغتصبة .

يروي هشام الكلبي (أن الفل من الكنعانيين بعد يشوع بن نون قد احتملهم افريقش من سواحل الشام في غزواته إلى المغرب وأنزلهم بافريقيا ومعهم صنهاجة وكتامة من قبائل حمير بعد أن قتل جرجيس الملك) .

بينما جاء في (المسالك والممالك) كما أسلفنا أن دار (البربر) كانت فلسطين في عهد جالوت ملكها فلما قتله طالوت جلت قبائل البربر إلى المغرب حتى انتهت إلى لوبيا فتفرقت هناك ... الخ .

ومن المؤكد أن بعضاً من بني كنعان قد رافقوا افريقش إلى افريقيا ثم عادوا معه بعربات (مركبات) القتال التي تجرها جياد خلال عهد

قضاة اسرائيل ، وعادوا إلى افريقيا مرة أخرى .

ومن الثابت تاريخياً أن الفترة الزمنية التي تفصل ما بين عصر يشوع بن نون عن عصر طالوت كانت جد طويلة تتراوح مـا بين تسعة أجيال وعشرة أجيال تقريباً .. كان يشوع خليفة لموسى بن عمران ابن فاهت ابن لاوي ابن يعقوب في حين أن داود (طالوت) كان من نسل يسبى ابن عوبيد ابن يوعز ابن سلمون ابن نخشون ابن داب عمينا ابن آرام ابن حصرون ابن فارض ابن يهوذا ابن يعقوب .

ومن الطبيعي أن يكون عهد يشوع المعاصر لعهد افريقش متقدماً على عهد داود بحوالي أربعمائة سنة .

ومن ثم كانت هجرة بني كنعان إلى شمال افريقيا قد تمت في أوائل عهد يشوع الذي ثبت انه كان أول يهودي [1] وطأت قدماه أرض كنعان غازياً فاتحاً بعد اجتياز نهر الأردن قادماً من شطيم لاحتلال أريحا وعاي وأخيراً جبعون والقدس (أورشليم) .

ولا نستبعد أن تكون ثمة هجرة أخرى في عهد طالوت فيما بعد على أننا نود تأكيد مزامنة أو معاصرة افريقش ليشوع فحسب .

---

(١) لا يخفى أن هجرة العمالقة إلى ليبيا قد سبقت افريقش بمئات السنين .

دورُ أفريقش في كنعان

عندما كان بنو كنعان يعيشون في سلام وطمأنينة وغير مستعدين للحروب كان ثمة من يبيّت لهم شراً . كان رمسيس الثالث يستعد لغزوهم ، وكذلك كان همج أوربا الشمالية الذين اكتسحوا فيما بعد شمال كنعان وأحرقوا مدنها بعد تدميرها وتركوها أثراً بعد عين . وقد أخذ اسرائيل بقيادة يشوع بن نون زمام المبادرة .

انتقل بنو اسرائيل من شطيم إلى جلجال بعد أن أمضوا أربعين سنة في صحراء سيناء واحتل يشوع بن نون أريحا وأضرم فيها النيران وأصدر أوامره بقتل جميع سكانها .

وما ان استقر المقام بالغزاة قليلاً حتى استولوا على مدينة عاي وقتلوا جميع الرجال واستباحوا النساء وأحرقوا المدينة امعاناً في بث الرعب والهلع والفزع في المنطقة .

ولم يلبث أن حالفهم الحظ واستسلمت لهم مدينة جبعون دون قيد أو شرط غير أن صادوق ملك أورشليم استنفر أهل عجلون ويرموت ولخيش وجبرون بكيفية ارتجالية تنقصها عوامـــل الحشد الصحيحة وتصدى لهم ولكنه لم يلبث أن مني بهزيمـة الأمر الذي أتاح ليشوع أن يسيطر على مناطق الجبال والسفوح والسهول الفلسطينية ويقطع طرق المواصلات بين جوشن وغزة .

ومن جهة أخرى أخـذت القاضية اليهودية دبورة تستنفر أسباط اليهود في الجبهة الشمالية الشرقية استعداداً لشن هجوم عام على منطقـة حاصور وبذلك يتم لهم الاستيلاء على المنـــاطق الاستراتيجية في أرض كنعان . وقد لعب باراق دوراً رئيسياً مع دبورة في الاستنفار والتعبئة والحشد .

وفي الجانب المقابل بذل (يبين) ملك حاصور جهوداً بالغة في حشد أهل اكشاف وشمرون وعربة للوقوف صفاً متراصاً واحـــداً للدفاع عن الوطن أمام زحف الغزاة الطامعين .

والتقى الطرفان عند منطقة ميروم ودارت معارك طاحنة استمرت أياماً وسقط فيها الكثير من القتلى والجرحى .

وكان إطباق جيش دبورة وجيش يشوع على الملك يبين قد أدى إلى تمزيق جيشه وبالتالي هزيمته في منطقة حاصور .

ويبدو أن بعضاً من الكنعانيين الذين كتبت لهم النجاة قد التجأوا إلى شمال افريقيا إما بحثاً عن ملاذ وإما طلباً لنجدة من بني عمومتهم هناك تثأر لهم . وكان اليهود قد ارتكبوا من الجرائم مـــا يعجز عنه الوصف فقد صدرت التعليمات بقتل جميع الكنعانيين وسبي النساء من بني عناق في اشدود في مجزرة بشرية رهيبة .

وبالاستيلاء على حاصور وتمزق خط الدفاع الكنعاني ولجوء البعض إلى شمال افريقيا امتد نفوذ بني اسرائيل من منطقة جبـل الأقرع إلى جبل حرمون وسعير .. وساد اليهود في المنطقة .. وكثيراً ما تغنت دبورة بالانتصارات على بني كنعان في نغمة لا تخلو من التبجح والمغالطة.

ودفـــع الكنعانيون الجزية صاغرين في حبرون لسبط يهوذا وفي بلعام وتعنك ومجدو لسبط منسى وفي أورشليم لسبط بنيامـــين وفي قطرون وبهلون لسبطي افرايم وزبولون وفي عكو لسبط اشير وفي بيت شمس لسبط نفتالي .. وما ان سقطت غزة حتى دفع أهلهـــا الجزية لسبط شمعون .

وتوقف زحف اليهود السريع فجأة وأخفق يشوع ودبورة وباراق في احراز أي تقدم وعجز الثالوث الرهيب عن الاستيلاء على (أرض الميعـــاد) كما يزعمون ، واكتفى يشوع بتقسيم الأراضي المحتلة بين الأسباط ، وذلك بسبب استماتة الكنعانيين في الخط الثاني .

قبائل أوربا الهمجية

أقام بنو كنعان خطاً دفاعياً يمتد من بلدة مغارة إلى بلدة افيق

وتخم الأموريين والجبلين ، وظهر في الميدان عنصر حربي جديد وهو مركبة القتال التي جيء بها من بلاد الليبو عبر صحراء سيناء وقد حل في الوقت نفسه غزاة جدد وهم رجـــال القبائل الأوربية الهمجية التي تصدى لها الكنعانيون هي الأخرى وانشغلوا في قتالها .

ولولا مجيء هؤلاء الغزاة الجدد والانشغال في التصدي لهم لما طال بقاء بني اسرائيل في المناطق المحتلة .

انحدرت على غير انتظار من المنطقة الممتدة من نهر الراين إلى بحر قزوين قبائل أوربية همجية شديدة البطش متمرنة على القتال تغير على الحضارات السامية في مناطق تخومها وتنزل بهـــا النكبات المتوالية . وكانوا جميعاً يتكلمون لهجات مختلفة كانت في الأصل لغة واحدة ، هي اللغة الآرامية[١] .

واحترف هؤلاء الهمج السلب والنهب والاغارة على المدن الآمنـــة المستقرة ، وذلك خلال سنة ١٢٠٠ ق م تقريباً . وكانوا جميعاً شعوبـاً متشابهة ترتبط بوشائج الرحم[٢] وإذا تحولوا وضعوا خيـــامهم على دواب وعربات تجرها ثيران وإذا استقروا يصنعون عشوشاً من ألياف أغصان الأشجار والطين .

---

(١) ج. ويلز .

(٢) نفس المرجع .

كانت هذه القبائـــل المغيرة من شمال أوربا من العنصر الأوربي الشمالي الأشقر الأزرق العينين . وقـد تكاثر عددهم وقويت شوكتهم واستفحل خطرهم على أقدم مدنيات في التاريخ وهي مصر وبابـــل وكنعان . وكذلك جزيرة كريت في البحر الأبيض المتوسط .

ولم تلبث هذه القبائل أن استولت على الهند وأسست فيها المذهب البرهمي العنصري البغيض ، وغزت اليونان وأسست فيما بعد الحضارة الاغريقية على أنقاض الحضارة الايجية ، وتوجه جزء منها وهم الاتريسك إلى ايطاليا وأسسوا فيما بعد دولة الرومان وحاولوا احتـــلال مصر ولكن رمسيس الثالث تغلب عليهم وأجلاهم من دلتا النيل بينما انحدر الباقون إلى أرض كنعان .

وقد تصدى لهم بنو كنعان وأجبروهم بعـــد مذابح متعددة على التراجع وبذلك صمدت كنعان صموداً تاريخياً مشرفاً وقدمت الشهداء الأبرار على مذبح الحرية دفاعاً عن الوطن ضد الغزو اليهودي القـادم من الغرب والجنوب والغزو الأوربي القادم من الشمال وأقاموا خطاً دفاعياً صعب الاختراق .

وهكذا ـ يقول يشوع (١) ـ بدأ سبط يساكر يفقد أرضه في سرعة أمام القائد الكنعاني القوي (فباعهم الرب بيد ملك كنعان في حاصور ورئيس جيشه سيسرا وهو ساكن في جروشة الأمم ، فصرخ بنـــو

---

(١) الشرق الأدنى القديم .

اسرائيل إلى الرب لأنه كان له تسعمائة مركبة حربية [1] من حديد وهو ضايق بني اسرائيل بشدة مدى عشرين سنة) .

ولكن إذا كان سبط يساكر الذي وقع عليه الضغط هنا فإنه لم يكن هو المعني بذلك ذلك لأن السهل الواسع كان يبدو كبحر شاسع يفصل ما بين التلال الجنوبية والشمالية .

كان الكنعانيون من غير شك على استعداد للكفاح من أجل استرداد اقليم خصب والتحكم في الممرات الكبرى التي تخترقه ، كما ان السيطرة على ازدريلون [2] تعني عزلاً تاماً للأسباط الشمالية التي كانت تحرم من أي أمل في الحصول على نصيب من مكاسب اسرائيل المزعومة .

ومع ذلك فإنه من الواضح أن مصالح هذه الأسباط كانت تتمثل في مد يد العون ليساكر قبل أن تضيع الفرصة .

ولكن الكنعانيين بالقرب من قيشون استطاعوا مصاولة سبط أشير ، وكان سيسرا في منطقة جروشة الأمم على التخوم الجنوبية .

وعلى الرغم من أن سبطي نفتالي وزبولون كانا أكثر حرية في العمل

---

(١) سفر القضاة ٤ : ٢ — ٣ .

(٢) نفس المرجع .

فانهما ترددا في حمل السلاح ضد عدو قدروا انهم لا يستطيعون محاربته، وبالتالي غلبته، بل ان السبط الذي سيتأثر أشد التأثر بهذه الأحداث أحجم هو الآخر عن الدخول في صراع عنيف[1] فركنت يساكر إلى الخضوع ودفعت الجزية لبني كنعان .

---

(١) سفر القضاة ٤ : ٢–٣ .

حملة أفريقش على بني إسرائيل

كانت اتصالات الليبيين القدامى بجيرانهم جد وطيدة مما يؤكد أن أجدادنا لم يعيشوا في عزلة عن أحداث المنطقة بل كانوا يتصلون اتصالات لها دور رئيسي في تنمية العلاقات الأخوية .

وهذا الاتصال [1] يكون إما بطريقة سلمية مثل الأسفار والتجارة والرحلات أو بطريقة حربية مثل الهجومات والغزوات .

والحروب رغماً عما فيها من مجازر وسفك دمـــاء فهي مكنت المدنيات والحضارات من الانتشار والتنقل وأفادت الكثير من الشعوب. وهذا الاحتكاك سواء كان سلمياً لطيفاً أو حربياً عنيفاً هو الذي كان لقاحاً أثمرت به الحضارات ومن ذلك نشأ التطور والتقـــدم والرقي والتجارب الإنسانية .

---

(١) مدنية المغرب .

ويبدو أن حملة افريقش اضطرت أن تشق لنفسها طريقاً بمركباتها الحربيـــة عبر أراضي مصر وصولاً إلى أرض كنعان [1] وقـــد اصطدمت بجيش رمسيس الثالث في الدلتـا وبرزخ السويس وتغلبت عليه ، وواصلت المسيرة شرقاً .

وما أن أشرفت هـــذه الحملة على تخوم فلسطين حتى حاصرت بالتعـاون مـــع الأموريين سبط بني دان وأجبروهم على الاستسلام ودفع الجزية .

وواصل رجال الحملة الزحف إلى أن استعادوا منطقة قيشون وبذلك تمت لهم السيطرة على المنطقة الحيوية التي تفصل ما بين سبطي يهوذا وشمعون .

كان لهذه النجدة أبلغ الأثر على نفسية بني كنعان ورفع روحهم المعنوية فاستمر النضال الوطني ضد الغزاة اليهود والأوربيين طيـلة عهد افريقش وعهد أخيه أبي الاذعار عبر عصور القضاة والملوك حتى اندحرت قبائل همج أوربا ومني بنو اسرائيل بهزيمـــة اثر مقتـل شاؤل ملك اليهود الذي سقط صريعاً في معركة جبل جلبوع بسهام الكنعانيين .

---

(١) لا يخفى أن الليبيين كانوا على علاقة طيبة بمصر واشتركوا مع رمسيس الثاني في حرب ملوك الرعاة ثم توترت هذه العلاقة في عهد الملك الليبي مورايو الذي حارب الفرعون منفتاح ثم تحسنت بعدئذ .

وبسط التبابعة نفوذهم على أجزاء كثيرة من الديار المقدسة وشمال افريقيا وغيرهـــا بعد أن لعبت حملة افريقش دوراً إيجابياً في تحرير المنطقة المحتلة في بلاد الشام التي كانت هدفـــاً للغزاة على اختلاف مشاربهم .

اليهود يتجرعون مرارة الهزيمة

لعبت مركبة القتال مع الرماة المهرة الأشداء دوراً رئيسياً في وقف تقدم الغزاة اليهود والأوربيين إلى أعمـــاق فلسطين.ولولا انشغال بني كنعان في صد هجوم قبائل أوربا ـ كما أسلفنا ـ لما بقي بنو اسرائيل فترة من الوقت في الأراضي المحتلة .

احتفظ الكنعانيون ـ بمعونة كهلان وصيفي والمشواش ـ بالمدن الساحلية التي استردوا بعضاً منها استرداداً .

وكانت عقرون واشدود وغزة وجت وعسقلون وغيرها مسرحاً للمناوشات الطفيفة حيناً والهجمات الشاملة أحياناً .

غـــير أن بني كنعان[١] استطاعوا أن يثبتوا كفاءتهم كقوم محاربين وجند لهم المركبات والخيـل وفرساناً بارعين لا يشق لهم غبار . وقد دعموا مـــا بين مدنهم الخمس التي ارتبطت بروابط أشد

---

(١) الشرق الأدنى القديم .

مما نعهده بين المدن الكنعانية ، وكانوا من القوة بحيث استذلوا اسرائيل وأخضعوها لهم .

ومن جهة أخرى تمكنت نجدة افريقش من إنزال الهزيمة باليهود وفك الحصار عن القطاع الغربي الواقع ما بين برزخ السويس والحد الجنوبي الغربي من فلسطين .

وبذلك تم لها السيطرة في هذه المنطقة وقطعت كل الاتصالات بمصر وافريقيا . وعلاوة على ذلك كانت تشن الغارات المتواصلة على أسباط اليهود طيلة عصري القضاة والملوك .

كانت نجدة افريقش قد استولت على (ادوم) وأخضعت سبط افرايم لها وتم لها الاتصال بالكنعانيين في قادش وشمال حرمون على حدود الحثيين .

وظل الصراع على أشده في الديار المقدسة . الكنعانيون [1] جاؤا بمركبات ثقيلة التي تجرها ثيران وتدربوا على استعمالها. وكانت اسرائيل تظهر طموحها وتستهدف الاستقرار ما استطاعت .

ولكن بني كنعان استطاعوا أن يؤكدوا وجودهم ويملوا على

(١) الشرق الأدنى القديم .

يهوذا إرادتهم بفضـــل معداتهم الحربية وتجاربهم[1] . وكانت أول معركة بين الطرفين خلال هذه المرحلة هي التي سجلها سفر صموئيل والتي أدت إلى الغزو الكنعاني لأواسط الأرض التي يسكنها سبطـا افرايم و بنيامين .

وهزمت اليهود في الهجوم الأول ، فلمت شتاتها وهمت بدخـول معركة أخرى . وجاءوا معهم هذه المرة من (شيلوه) بتابوت عهـــد الرب ومعه ابنا عالي ـ حفني وفينحاس .

وكان الهدف من وراء ذلك أن يعمـل يهوذا[2] صاحب تابوت العهد في صفهم .

وقد توهم زعماء بني كنعان في بداية الأمر أن آلهة اليهود ستنزل بهم النكبات مثلما ضربت مصر بجميع الضربات البرية فتوجسوا خيفة أن تلاحقهم لعناتها ويصبحوا عبيداً للعبرانيين كما حدث لهم فترة في غفلة من الزمن ..

إلا أن موجة الوهم سرعان ما انقشعت وقاتـــل بنو كنعـان اليهود قتـــالاً مريراً أدى إلى انكسارهم ... وأخذوا منهم تابوت الله وقتل ابنا عالي . ولم يكن هـذا ـ في نظر يهوذا ـ سوى أن

---

(١) سفر القضاة ١٥ : ١١ .

(٢) سفر صموئيل الأول ٤ : ٤ .

يهوه قد تخلى عن اسرائيل . وعند سماع النبأ مـــات عالي قاضي اسرائيل .

وعلى أثر هذا الانتصار نقـــل بنو كنعان التابوت إلى اشدود وأدخلوه إلى بيت داجون [1] ثم هاجموا يعاريم الواقعة على مقربة من أورشليم .

(١) سفر صموئيل الأول .

استقرار بني كنعان وعودة أفريقش

شغلت القطاع بين الحد الجنوبي ليهوذا وحائط مصر[1] من وقت لآخر قبائل رحل من العرب خلال عصر القضاة في فلسطين. وكانوا يظهرون البغضاء لاسرائيل وكانوا دائمي الاغارة عليهم.

ويظهر ان جماعة منهم قد استولت على ادوم وامتصت افرايم التي كانت مسيطرة على بني كنعان في قطرون وبهلون .

بينما عبر العمونيون الاردن واستردوا المنطقة من القائد اليهودي يفتاح الجلعادي الذي مني جيشه بهزيمة في بيت لحم ولاقى هو الآخر حتفه هناك .

ولم يلبث اليهود أن نصبوا ابصان قائداً جديداً فجمع شتات

---

(١) الشرق الأدنى القديم .

اسرائيل والتقى الطرفان في معارك طاحنة انتهت بقتله وتنصيب ايلون خلفاً له واستمر القتال في كر وفر دون جدوى ، وأخفق بنو اسرائيل في تحقيق أحلامهم الوهمية في (أرض الميعاد) طيلة عهدي الاحبار والقضاة .

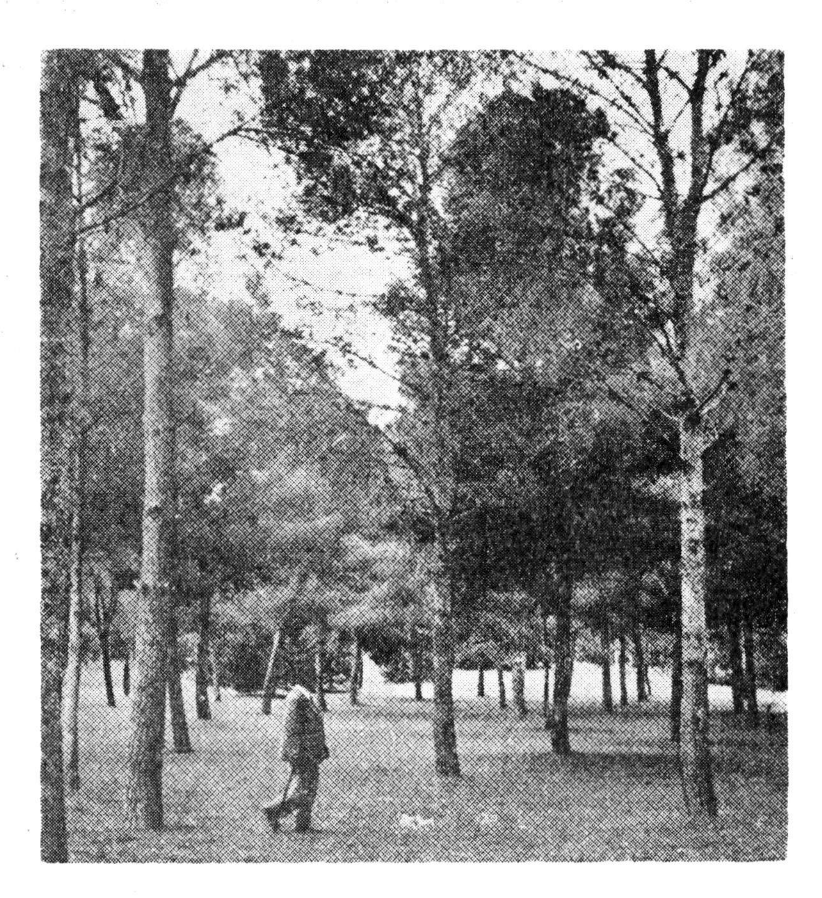
يبدو ان اسرائيل لم يقدر لها يوماً أن تبسط سلطانها [١] على الضفة الغربية من نهر الأردن الذي ظـل في أيدي بني كنعان الذين كانوا شعباً منظماً ناجحاً مسيطراً على قوافـــل التجـارة بل كان التأثير الثقافي والمادي لـ (عكا) وصور وصيدا على الأقاليم الداخليـة قد بلغ حـــداً يعوق دون امتصاص الكنعانيين بواسطة المهاجرين اليهود ويعوق بالتالي دون تكوين حلف من اسباط اسرائيل وقبائلهم في الشمال .

استقر بنو كنعان في رقعة الأرض الواقعة إلى الجنوب من يافا [٢] حتى غزة بل وامتدت إلى جبال يهوذا ولكن لم تكن لهم تلك الموانىء التي جعلت من اخوانهم الفينيقيين شمال الكرمل شعباً بحرياً إنما كانت لهم أرضهم الخصبـة ، وكان لهم طريق الشاطىء الذي قـادهم إلى الشمال وإلى الشرق . وكانت معظم أجزاء هـــذه الأرض في قبضة اليهود الغزاة وقد تم تحريرها .

---

(١) شتاد .

(٢) الشرق الأدنى القديم .



غابة وسط الصحراء

واصطدمت حملة افريقش عند عودتها إلى شمال افريقيا بجيش رمسيس الثالث .

وتمكن الفرعون من توجيه ضربة عنيفة للعائدين في البداية عند شواطىء فلسطين. ولكن كابول زعيم المشواش ، وحليف افريقش تصدى لجيش رمسيس الثالث في دلتا مصر الغربية وأنقذ جماعـــة افريقش المرهقة المنهوكة القوى .

وهكذا استطاع المشواش وكهلان وبعض الكنعانيين بزعامـة افريقش وبالتعاون مع كابول من أن يشقوا طريقهم إلى ليبيا خلال الفترة ١١٩٠ـ١١٦٩ ق.م تقريباً بعد كفاح طويل في أرض كنعان (فلسطين) التي أخفق اليهود وقبائل أوربا والرعامسة في الاستيلاء عليها .

عاد افريقش بن قيس بن صيفي إلى هـــذه المنطقة وبه سميت (افري) فـ (افريكا) ثم (افريقيا) وقد عممت التسمية على القـارة السمراء بأسرها ..

فهرس

صفحة

يطلب من الناشر

الكتب التالية :

١ – جذور النضال العربي في ليبيا

تأليف محمد عبد الرازق مناع

٢ – ثورة الفاتح من سبتمبر أبعادها ومراميها

تأليف محمد عبد الرازق مناع

٣ – الصحراء الليبية مصدر أقدم الحضارات

تأليف محمد عبد الرازق مناع

٤ – سبتموس سفيروس الامبراطور العربي الذي حكم روما

تأليف محمد عبد الرازق مناع

٥ – الاتحاد الاشتراكي العربي / التنظيم الشعبي بالجمهورية العربية الليبية .

اعداد لجنة التأليف بدار الفكر

٦ – اتحاد الجمهوريات العربية .. ميلاد دولة عصرية

اعداد لجنة التأليف بدار الفكر

٧ – الثورة الشعبية في ليبيا وأهدافها

اعداد لجنة التأليف بدار الفكر

٨ – ثورة الشعب العربي في ليبيا من خـــلال خطب وتصريحات الأخ العقيد معمر القذافي

اعداد لجنة التأليف بدار الفكر

٩ – قراءات ليبية **للدكتور علي فهمي خشيم**

١٠ – نصوص ليبية » » » »